

٢٦٦

العدد الثاني عشر - السنة الرابعة . رجب ١٤٢١هـ ، الموافق مارس ٢٠٢٠

﴿كَبَتْ أَنْزَلَنَا إِلَيْكَ مُبَرَّكَ لِيَدْرُوا إِيَّنَا وَلِيَسْتَذْكِرَ أَوْلَوَ الْأَلْكَبِ﴾ [٢٩] أص:

مُوَضِّعَاتُ الْعَرْوِ:

- ١٠ المفاصد القراءة في سورة ق
 - الباحث : د / حماد بن محمد يوسف
 - ٩ بلاغة آسلوبات الحوار القراءى : حواراً لابنها مع ابنه موزاحا
 - الباحث : د / بدرية بنت سعيد مغيرة أبو زرع
 - ٨ آلاسفيه الماجي في الحوار القراءى : حوار ثانية علنية
 - الباحث : د / حمدين راضى بن فضيل الرحمن
 - ٧ بناء سورة الحاقة على تعليم الله عز وجل ومفهوم العودية
 - الباحث : د / فرقى على رسادى
 - ٦ تقرير عن رسالة العترة والشوارع : تدبر القرآن الكبير
 - الباحث : د / عبدالمطلب بن عبد الله المؤمنى
 - ٥ تقرير عن مفهوم هدایات القرآن الكريم
 - ٤ تقرير عن المؤشر القراءى الدوى الثاني في مقدمة آيات القرآن الكريم



بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

البُحْثُ الْأَوَّلُ

الْمَقَاصِدُ الْقُرْآنِيَّةُ فِي سُورَةِ قَ

الْبَاحِثُ : حَمَادَ بْنُ مُحَمَّدَ يُوسُفُ

طالب بمرحلة الفضيلة، بكلية اللغة العربية والدراسات
الإسلامية، بجامعة المحمدية-الهند.

نال شهادة العالمية من كلية اللغة العربية والدراسات الإسلامية، بجامعة المحمدية-
الهند، عام ٢٠١٩ م.
أهم النتاج العلمي:

- "منهج الخطيب التبريزي في مشكاة المصايف وعناية العلماء به" (باللغة العربية).
- "ظاهرة التكفير وخطورته" (باللغة الأردية)، وهو منشوران بمجلة النادي المحمدى، بجامعة
المحمدية-الهند.

البريد الإلكتروني: mdhammadyusufI@gmail.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُسْتَخْلَصُ الْبَحْثِ

يُعْنِي هَذَا الْبَحْثُ بِدِرَاسَةِ: (الْمَقَاصِدُ الْقُرْآنِيَّةُ فِي سُورَةِ «ق»)، مَعْتَمِدًا فِي

ذَلِكَ عَلَى الْمَنْهَجِ الْإِسْتَقْرَائِيِّ الْإِسْتِبَابِيِّ.

وَتَكْمُنُ أَهْمَيَّتُهُ فِي فَضْلِ سُورَةِ (ق) وَمَكَانِتِهَا الْعَظِيمَةُ بَيْنِ السُّورَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ لَمْ يَنْلُ حَظًّا فِي الدِّرَاسَاتِ الَّتِي تَنَوَّلَتِ الْمَقَاصِدُ الْقُرْآنِيَّةُ؛ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَهْمَيَّتِهِ فِي فَهْمِ الْقُرْآنِ وَتَدْبُرِهِ.

وَيَهْدِي الْبَحْثُ إِلَى اسْتِنبَاطِ الْمَقَاصِدِ الْقُرْآنِيَّةِ مِنْ سُورَةِ (ق)، وَمَعْرِفَةِ الْقَضَايَا الْجَوَاهِرِيَّةِ الَّتِي تَنَوَّلَتِهَا السُّورَةُ، وَالْوُقُوفُ عَلَى سِرِّ قِرَاءَةِ الرَّسُولِ ﷺ لِهَذِهِ السُّورَةِ فِي الْمَجَامِعِ الْكِبَارِ.

وَقَدْ جَاءَ هَذَا الْبَحْثُ فِي مُقْدِمَةٍ، وَثَلَاثَةِ مُبَاحِثٍ، وَخَاتَمَةٍ:

وَأَخْتَصَّ الْمَبْحَثُ الْأُولُّ بِالتَّعرِيفِ بِعِلْمِ الْمَقَاصِدِ الْقُرْآنِيَّةِ، وَبِيَانِ أَهْمَيَّتِهِ.
أَمَّا الْمَبْحَثُ الثَّانِي: فَقَدْ كَانَ مُقْدِمَةً تَعْرِيفِيَّةً لِسُورَةِ (ق)؛ بِذِكْرِ بَعْضِ مَا يُعِينُ عَلَى الْكَشْفِ عَنِ الْمَقَاصِدِ الْقُرْآنِيَّةِ.

أَمَّا الْمَبْحَثُ الْثَالِثُ: (وَهُوَ صُلْبُ الْبَحْثِ)؛ فَذِكْرُ فِيهِ مَقْصِدِ السُّورَةِ إِجْمَالًا مَعَ ذِكْرِ شَوَاهِدِهِ، ثُمَّ مَوْضِعَاتِهَا الْجُزَئِيَّةُ، ثُمَّ التَّدْبِيرُ الْمَقَاصِدِيُّ لِآيَاتِ السُّورَةِ تَفْصِيلًا.

وَخَلَصَ الْبَحْثُ إِلَى أَنَّ سُورَةَ (ق) قدْ تَنَوَّلَتْ عِدَّةَ مَوْضِعَاتٍ رَئِيسَةً تَخْصُّ الْعِقِيدَةِ الإِسْلَامِيَّةَ؛ مِنْ تَقرِيرِ أَصْوَلِ الدِّينِ مِنْ الإِيمَانِ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكَتَبِهِ، وَرَسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَالْقَدْرِ، وَإِعْطَاءِ تَصَوُّرٍ كَامِلٍ عَنِ حَيَاةِ الْإِنْسَانِ،

وغير ذلك من المَقَاصِدُ الْقُرْآنِيَّةُ الْمُهِمَّةُ، ولذلك كان الرَّسُولُ ﷺ يقرأ بها في المجامع الكبار.

ويُوصي البحثُ بضرورة العناية بسورة (ق)؛ تلاوة وتدبرًا، وإحياءً سُنَّةِ رسول الله ﷺ في قراءتها في خطبة الجمعة وصلاة العيد، ودراسة المَقَاصِدُ الْقُرْآنِيَّةُ فِي السُّورَةِ، خاصَّةً تلك السُّورَةِ التي كان الرَّسُولُ ﷺ يواكبُ على قِراءتها.

﴿الكلمات المفتاحية﴾ : المَقَاصِدُ الْقُرْآنِيَّةُ - التَّدْبِيرُ الْمَقَاصِدِيُّ - التفسير - سُورَةُ (ق) - السُّورَةُ الْمُكَيَّةُ - المُفَصَّلُ.





The Qur'anic Purposes of Sura Qāf

Prepared by:

Hammad Mohammed Yusuf

Email: mdhammadyusuf1@gmail.com

Summary:

This piece of research explores the Quranic objectives in the Chapter of Qāf, depending on the deductive and inductive methods. Its significance lies in the merit of this chapter and its great position among the Quranic chapters, and yet the studies that dealt with the Quranic objectives did not examine it adequately despite its being instrumental in understanding and meditating on the Qur'an.

The research aims to extract the Quranic objectives from the chapter of Qāf, highlight the key issues that it tackles and find out why the Prophet (**Peace be upon him**) used to recite it at his major assemblies.

This research includes an introduction, three sections, and a conclusion. The first section defines the study of the Quranic objectives and clarifies its importance. As for the second section, it presents an introduction to the chapter of Qāf which sheds light on what helps to draw the Quranic objectives. The third section (**which is also the crux of**



the research) discusses the general meaning of the chapter in question, together with its supporting evidence, its sub-themes and the meditative consideration of its verses.

Main Findings:

The research concludes that the chapter of Qāf deals with several primary issues related to the Islamic faith, confirming certain religious fundamentals, including belief in Allah (**Exalted be He**), His angels, His sacred books, His prophets, the Doomsday, and predestination and gives a complete picture of man's life. That's why the Prophet (**Peace be upon him**) was always keen on reciting it on formal occasions.

Primary Recommendations:

- Special attention should be given to the chapter of Qāf in terms of recitation and meditation.
- It should be recited during the Friday Sermon and the Eid prayer to revive the Prophet's established tradition.
- The Quranic objectives of the various chapters should be studied, particularly those chapters which the Prophet (**Peace be upon Him**) recited regularly.

Key Words: Quranic objectives- meditative consideration-interpretation –the chapter of Qāf- the Meccan chapters-al-mufassal.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْفَرَدَةُ



الحمدُ لله ربُ العالمين، والصلوة والسلام على أشرف الأنبياء
والمرسلين،
أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ هُوَ النُّورُ الْمُبِينُ، وَالْحُقُوقُ الْمُسْتَبِينُ، هُوَ حِلْمُ اللَّهِ
الْمُتَّيِّنُ، وَصِرَاطُهُ الْمُسْتَقِيمُ، أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَى عِبَادِهِ، لِيَكُونَ مِنْهَاجًا لِلْحَيَاةِ،
وَنِيرًا لِلْهَدَايَا، وَأَمْرًا لَهُمْ بِالْتَّمْسِكِ بِهِ، وَتَفْهُمِهِ، وَتَدْبُرِهِ، وَاسْتِخْرَاجِ كُنُوزِهِ،
وَإِشَارَةِ دَفَائِنِهِ، وَالْكَشْفُ عَنْ حَقَائِقِهِ، وَالْوُقُوفُ عَلَى غَایَاتِهِ السَّامِيَّةِ الْكَفِيلَةِ
بِمَصَالِحِ الْعِبَادِ فِي الْمَعَاشِ وَالْمَعَادِ، وَالْمُوَصِّلَةُ لَهُمْ إِلَى سَبِيلِ الرَّشَادِ.

وَمِنْ هَذَا الْمَنْطَلِقَ، جَاءَ هَذَا الْبَحْثُ الْمُوسُومُ بِـ (الْمَقَاصِيدُ الْقَرَآنِيَّةُ فِي
سُورَةِ قٰ)، لِيَكُونَ عُوْنَانًا لِلْقَارئِ فِي تَدْبُرِ كَلَامِ اللَّهِ عَزَّلَهُ.

أهمية البحث :

﴿ تَبَشَّرَتْ أَهْمَيَّةُ الْبَحْثِ أَوْلًا مِنْ فَضْلِ السُّورَةِ الَّتِي يَتَناولُهَا الْبَحْثُ،
فَسُورَةُ (قٰ)، قَدْ كَانَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقْرَأُ بِهَا فِي الْمَجَامِعِ الْعِظَامِ، وَيَوَاظِبُ عَلَيْهَا
تَذْكِيرًا بِمَا تَضَمَّنَتْ هَذِهِ السُّورَةُ الْعَظِيمَةُ مِنْ أَصُولِ الإِيمَانِ وَالْعِقِيدَةِ، وَعَمَلاً
بِقَوْلِ اللَّهِ عَزَّلَهُ : ﴿ فَذَكِّرْ بِالْقُرْءَانِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدٍ ﴾ .

﴿ ثَانِيًّا : يَسْتَمدُ الْبَحْثُ قِيمَتَهُ مِنْ أَهْمَيَّةِ عِلْمِ الْمَقَاصِيدِ الْقَرَآنِيَّةِ، وَدَوْرِهِ
فِي فَهْمِ الْقُرْآنِ وَتَدْبُرِهِ عَلَى الْوِجْهِ الْأَمْثَلِ .

لله وأخيراً: تزداد أهمية البحث لعدم وجود أبحاثٍ ودراسات مستقلة للمقاصد القرآنية في هذه السورة -خصوصاً-، وقلة الكتابة في مجال المقاصد القرآنية -عموماً- على الرغم من الصحة العلمية في مجال علم المقاصد.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى العناية بالهداية القرآنية وما أنزل القرآن لأجله، واستنباط المقاصد القرآنية التي اشتملت عليها سورة (ق)، ومعرفة القضايا الجوهرية التي تناولتها السورة، والوقوف على سر قراءة الرَّسُول ﷺ لهذه السورة في المجامع الكبير.

كما يرمي البحث أيضاً إلى إبراز بلاغة القرآن الكريم وإعجازه من خلال دراسة المقاصد القرآنية، والوقوف على أهميتها، والإسهام في تطويرها.

الدراسات السابقة:

- ♦ لم تخل كتب التفسير القديمة والحديثة من المقاصد القرآنية على تفاوتٍ بينها في العناية بها مقداراً ودلالةً؛ غير أنها في الغالب متournée في مواطن متفرقة من كتبهم. ولابن القيم كلامٌ نفيس عن سورة (ق)، افتتح بها كتابه: (الفوائد)، وأفردته بالذكر لكونه من غير مظانه.

- ♦ كُتبت بعض الأبحاث والرسائل العلمية في المقاصد القرآنية عموماً أو في سورة معينة (غير سورة ق)، ومنها:

لله المقاصد القرآنية: دراسة منهجية، د. محمد بن عبد الله الريبيعة، مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، العدد ٢٧، (ص ٢٠٧-٢٦٢)، تناول البحث موضوع المقاصد القرآنية من الجانبين النظري والتطبيقي،

واستفدتُ منه في الكشف عن المَقاصِد، وطُرق صياغتها، خاصةً في التدْبُر المَقاصِدي لِلآيات^(١).

↳ المَقاصِد الْقُرآنِيَّة في سُورَة ص، شيماء غانية، رسالة ماجستير.

↳ المَقاصِد الْقُرآنِيَّة في سُورَة المزمل: دراسة تحليلية، أكرم العمر، رسالة ماجستير.

◆ تناولت بعض الرسائل العلمية بعض الجوانب في سُورَة (ق)، كالجانب الموضوعي واللغوي، وما أشبه ذلك، ومن تلك الدراسات^(٢):

↳ سُورَة (ق): دراسة تحليلية موضوعية، عبد الله سعداوي، رسالة ماجستير. وهو يذكر الموضوعات التي تناولتها سُورَة (ق) - كما هو ظاهرٌ من عنوانه -، ولا يتناول الذي نحن بصدده -أعني: المَقاصِد الْقُرآنِيَّة-.

↳ الدراسة التحليلية لمَقاصِد وأهداف الحزب الثاني والخمسين من القرآن الكريم (سُورَة الفتح-الحجـرات-(ق)-الذاريات)، نصر سمير رشيد، رسالة ماجستير. وقد ذكرت في بداية الرسالة مقدماتٍ تعريفية في المَقاصِد، وسورة (ق). ثم تناولت الباحثة سُورَة (ق) في الفصل الثالث الموسوم بـ (الدراسة التحليلية لمَقاصِد وأهداف سُورَة ق)، وقسمت الفصل إلى ثلاثة مباحث، وكل مبحث إلى عدة مطالب، وتناولت في كل مطلبٍ بعض الآيات، وبيّنت معانٍ الكلمات، والمناسبة، والمعنى الإجمالي، ومَقاصِد وأهداف النص القرآني. لكنَّ الذي ظهر لي أن طريقة الباحثة أشبه بالتفسير منه إلى المَقاصِد الْقُرآنِيَّة؛ إذ إنها قد ذكرت الفوائد المستنبطة من الآيات تحت عنوان:

(١) يُنظر (المطلب الرابع: التدبر المَقاصِدي لِلآيات) من المبحث الثالث.

(٢) يُنظر تفاصيل الرسائل الجامعية في ثبت المصادر والمرجع.



(مقاصِد وأهداف النص القرآني)، ثم شرعت تشرح هذه الفائدة المستتبطة بذكر الآيات والأحاديث النبوية، مما ليس له تعلُّق مباشر بالمقاصِد، وأهملت النظر في المقصود المباشر للآية.

ولا شك أن المَقَاصِدَ غَيْرَ التفسير، فإن المَقَاصِدَ يُعْنِي فيها بِذِكْرِ مَقْصِدِ السُّورَةِ إِجْمَالًا، ورَبْطِ مَقَاطِعِ السُّورَةِ بِعَضِهَا بِعَضٍ، ثُمَّ التَّدْبِيرُ الْمَقَاصِدِيُّ لِلآيَاتِ بِذِكْرِ الْمَقْصُودِ الْمُبَاشِرِ لِلآيَةِ، مُسْتَعِينًا فِي ذَلِكَ بِمَقْصِدِ السُّورَةِ، ثُمَّ التَّعْبِيرُ عَنِ الْآيَةِ بِأَسْلُوبِ الْمَقَاصِدِيِّ، ثُمَّ ذِكْرُ هَدَايَةِ الْآيَاتِ؛ الَّذِي هُوَ الْمَقْصُودُ الْأَهْمَمُ، كَمَا نَبَّهَ إِلَيْهِ الدَّكْتُورُ مُحَمَّدُ الرَّبِيعَةَ^(١).

وما هذا البحث إلا محاولة لتطبيق هذا المنهج، عسى أن يفيد الباحثين والمشتغلين في مجال المَقَاصِدُ الْقُرْآنِيَّةِ، الَّذِي لَا يَزَالْ يُعَانِي مِنْ غَمْوضِ الْمَفْهُومِ، وَاضْطِرَابِ الْمَنْهَجِ.

وهذا البحث وإن كان يشتراك مع البحوث السابقة في بعض القضايا والجزئيات، إلا أنه يختلف عنها من حيث موضوعه أو من حيث طريقة تناوله للمَقَاصِدُ الْقُرْآنِيَّةِ، حيث يتناول هذا البحث المَقَاصِدُ الْقُرْآنِيَّةُ فِي سُورَةِ (ق) خاصةً، وبالمنهج الذي مر ذكره آنفًا. أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُوفِّقَنِي لِمَا يُحِبُّهُ وَيُرِضُّهُ، وَيُرِزِّقَنِي الإِخْلَاصَ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ.

منهج البحث :

اعتمد البحث على المنهج الاستقرائي الاستنباطي، وذلك عند تتبع كلام أهل العلم في مظانه من كتب التفسير والمَقَاصِدِ، واستنباط المَقَاصِدِ الْقُرْآنِيَّةِ منها.

(١) انظر: المَقَاصِدُ الْقُرْآنِيَّةُ: دراسة منهجية، د. محمد بن عبد الله الربيعة، ص ٢٥١.

٤- خُطَّةُ الْبَحْثِ :

قسمتُ الْبَحْثَ إِلَى مُقْدِمَةٍ، وَثَلَاثَةِ مِبَاحِثٍ، وَخَاتَمَةٍ:

١ - المقدمة : وَاشْتَمَلَتْ عَلَى أَهْمَيَّةِ الْبَحْثِ، وَأَهْدَافِهِ، وَمَنْهَجِهِ، وَخُطَّطِهِ،
وَالدُّرَاسَاتِ السَّابِقَةِ.

٢ - الْمَبْحُثُ الْأُولُّ : عِلْمُ الْمَقَاصِدِ الْقُرْآنِيَّةِ، وَفِيهِ مَطَالِبُ :

المطلب الأول: تعریف المَقَاصِدِ الْقُرْآنِيَّةِ.

المطلب الثاني: أهميَّةِ الْمَقَاصِدِ الْقُرْآنِيَّةِ.

٣ - الْمَبْحُثُ الثَّانِيُّ : التَّعْرِيفُ بِسُورَةِ (ق)، وَفِيهِ أَرْبَعَةِ مَطَالِبٍ :

المطلب الأول: اسْمُ السُّورَةِ، وَعَدْدِ آيَاتِهَا، وَمَرْحَلَةِ نُزُولِهَا.

المطلب الثاني: فَضْلُ سُورَةِ (ق).

المطلب الثالث: ترتيب السُّورَةِ فِي الْمَصْحَفِ، وَفِي التَّزُولِ.

المطلب الرابع: الْمُنَاسِبَاتُ فِي سُورَةِ (ق).

٤ - الْمَبْحُثُ الثَّالِثُ : التَّدْبِيرُ الْمَقَاصِدِيُّ لِسُورَةِ (ق)، وَفِيهِ أَرْبَعَةِ مَطَالِبٍ :

المطلب الأول: مقصد السُّورَةِ.

المطلب الثاني: مَوْضِعَاتُ السُّورَةِ.

المطلب الثالث: مَقَاطِعُ السُّورَةِ.

المطلب الرابع: التَّدْبِيرُ الْمَقَاصِدِيُّ لِلآيَاتِ.

٥ - الْخَاتَمَةُ : وَقَدْ تضَمَّنَتْ أَهْمَمِ النَّتَائِجِ وَالْتَّوْصِيَاتِ.

وَاللَّهُ أَسْأَلُ أَنْ يَجْعَلَ أَعْمَالَنَا خَالِصَةً لِوَجْهِ الْكَرِيمِ، وَأَنْ يُوفِّقَنَا لِخَدْمَةِ كِتَابِهِ
الْكَرِيمِ، وَأَنْ يَرْزُقَنَا فَهْمَهُ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



المبحث الأول

علم المقاصد القرآنية



✿ المطلب الأول : تعريف المقاصد القرآنية .

كـ أولاً: تعريفه باعتبارها مركباً وصفياً :

١- المقاصد لغة: جمْع مَقْصَدٍ، وهو مصدر ميمٌي مأخوذه من الفعل (قصد) من باب ضرب، قال ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ): "القاف والصاد والدال، أصول ثلاثة: يدل أحدها على إتيان شيءٍ وأمّه، والآخر على اكتناف في الشيء. فالأصل: قصيده قصداً ومقصداً. ومن الباب: أقصيده السهم، إذا أصابه فقتل مكانه، وكأنه قيل ذلك لأنّه لم يحدّ عنه،... ومنه: أقصيده حيّة، إذا قتلتُه. والأصل الآخر: قصيده الشيء: كسرته. والقصدة: القطعة من الشيء إذا تكسّر، والجمع قصد. [ومنه قصد] الرّماح. ورمح قصد، وقد انقصد، والأصل الثالث: الناقة القصيد: المُكتنزة الممتلئة لحمًا،....، ولذلك سميت القصيدة من الشّعر قصيدةً لقصيد أياتها، ولا تكون أياتها إلا تامةً الأبنية" ^(١).

ويأتي في اللغة معانٌ متعددة: منها استقامة الطريق، والعدل، والاعتماد والأعمى، وإتيان الشيء، والتوسط، والكسر ^(٢).

"**قال ابن جنني:** أصل مادة (ق ص د) وموقعها في كلام العرب: الاعتزام، والتوجه، والنهوض نحو الشيء، على اعتدال كان ذلك أو جرور" ^(٣).

(١) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (٥ / ٩٥)، مادة (قصد).

(٢) انظر: لسان العرب، لابن منظور (٣ / ٣٥٣ - ٣٥٧) مادة (قصد).

(٣) انظر: المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده، (٦ / ١٨٧). وعزاه الزبيدي في تاج العروس (٩ / ٣٦) إلى سر الصناعة، لابن جنني، ولم أجده فيه.



ومقصد الكلام: هو أن يتوجه الكلام واللفظ إلى معنىًّا معينًا أو غاية يريدها المتكلّم^(١).

والقرآن لغة: مصدر كالغُفران من قرأ - بمعنى (تلا)، بمعنى اسم المفعول؛ أي بمعنى متلوٌ. ٢ - أو بمعنى (جمع)، فعلى المعنى الأول: (تلا)، يكون مصدرًا، وعلى المعنى الثاني: (جَمَعَ) يكون مصدرًا بمعنى اسم الفاعل؛ أي: بمعنى جامع؛ لجمعه الأخبار والأحكام^(٢).

وفي الشرع: هو "الكلام المعجز المُنزل على النبي ﷺ، المكتوب في المصاحف، المنتقل بالتواتر، المتعبد بتلاوته"^(٣).

﴿ثَانِيًّا: تعریفه باعتبارها علماً على فنٍّ معین:﴾

المقاصد القرآنية: هي الغايات التي أراد بها الله ﷺ في كتابه، أو هو (مراد الله ﷺ من كلامه)^(٤)، وعرفها د. عبد الكريم حامدي بأنها: "الغايات التي أنزل القرآن لأجلها تحقيقاً لمصالح العباد"^(٥).

ويمكن تعريف **المقاصد القرآنية** بأنها "المعاني الأصلية التي نزل القرآن ببيانها وتحصيلها"، وأن نعبر عن غير المقاصد بالمعاني الفرعية، وذلك لأن الجزم بأن هذا هو مراد الله من كلامه - مع صعوبته أو استحالته - قد يُؤذنُ به شيءٌ من سوء الأدب مع الله ﷺ، والله أعلم.

وعلى كلٍّ فإن "المقاصد القرآنية" مصطلح حديث لعلمٍ تبلور عبر

(١) نظرية المقاصد عند الشاطبي، للريسيوني (ص ١٩).

(٢) انظر: أصول في التفسير، لابن عثيمين (ص ٦).

(٣) منهال العرفان، لمحمد عبد العظيم الزرقاني (١ / ٢١).

(٤) انظر: "المقاصد القرآنية: دراسة منهجية"، د. محمد الربيعة (ص ٢١٢).

(٥) مقاصد القرآن، للحامدي (ص ٢٩). وانظر أيضًا: المواقف، للشاطبي (٤ / ٢١٨).

القرون، وترامت معارفه، ولا يزال يتعمق ويتطور وتشكل معالمه، لذلك لم يحظَ هذا العلم بتعريف جامع مانع؛ لأنَّه لا يزال في طور التشكيل^(١).

۞ الْمُطْلَبُ الثَّانِيُّ : أَهْمَىَّ الْمَقَاصِدِ الْقُرْآنِيَّةِ .

تُبَرِّزُ أَهْمَىَّ الْمَقَاصِدِ الْقُرْآنِيَّةِ فِي أَنَّهَا مَفْتَاحُ التَّدْبِيرِ، وَالتَّدْبِيرُ هُوَ الْغَايَا
الْمَقْصُودَةُ مِنْ إِنْزَالِ الْقُرْآنِ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ كَتَبْنَا لِكُمْ مُّبَارَكًا لِّيَدْبُرُوا مَا يَتَّمِّمُهُ ﴾ [ص: ٢٩].

وَقَدْ ذَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَا يَفْقَهُونَهُ؛ قَالَ تَعَالَى : ﴿ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حِدِيشًا ﴾ [النِّسَاءَ: ٧٨]، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبِ أَقْفَالِهَا ﴾ [مُحَمَّدٌ: ٢٤].

وَقَدْ قَرَرَ إِمامُ الْمَقَاصِدِ الشَّاطِبِيُّ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ (ت ٧٩٠ هـ) أَنَّ هَذَا الذَّمُ إِنَّمَا هُوَ مِنْ جَهَةِ أَنَّهُمْ لَا يَفْقَهُونَ مَرَادَ اللَّهِ عَلَيْهِ الْمُصَدَّقَاتِ مِنَ الْخُطَابِ، لَا أَنَّهُمْ لَا يَفْقَهُونَ نَفْسَ الْكَلَامِ؛ لِأَنَّهُمْ مُمْتَنَعُونَ، فَهُمْ عَرَبٌ، وَالْقُرْآنُ مُنْزَلٌ بِلِسَانِهِمْ، فَهُمْ يَعْرِفُونَ الْكَلَامَ بِمَقْتضَى سُلْيَقَتِهِمُ الْعَرَبِيَّةِ، لَكِنْ فَرْقٌ بَيْنَ ظَاهِرِ الْمَعْنَى، وَالْمَرَادِ مِنْهُ.

ثُمَّ قَالَ : "فَالْتَّدْبِيرُ إِنَّمَا يَكُونُ لِمَنْ تَفَتَّتَ إِلَيْهِ الْمَقَاصِدُ، وَذَلِكَ ظَاهِرٌ فِي أَنَّهُمْ أَعْرَضُوا عَنِ الْمَقَاصِدِ الْقُرْآنِ؛ فَلِمَ يَحْصُلُ مِنْهُمْ تَدْبِيرٌ" ^(٢). اهـ.

وَمِنْ شَأْنِ عِلْمِ الْمَقَاصِدِ الْقُرْآنِيَّةِ أَنْ يُضْبِطَ مِنْهُجِيَّةُ التَّعَامِلِ مَعَ الْقُرْآنِ بِوَصْفِهِ نَصًّا أَنْزَلَ لِغَايَةٍ مُحَدَّدةٍ، فَتُفْهَمُ مَوْضِعَاتِهِ فِي ضَوْئِهَا؛ لِأَنَّ مَعْرِفَةَ مَقْصِدِ الْمُخَاطِبِ يَؤْثِرُ فِي فَهْمِ نَصِّ الْخُطَابِ. وَلِضْبِطِهِ هَذَا الْمَقْصِدُ الْكُلِّيُّ أَثْرُهُ

(١) انظر: مركبة المقاصد عند محمد الغزالي: مقاربة في المفهوم والمصطلح والضرورة، أ.د. محمد زرمان (ص ١٠، ١١).

(٢) انظر: المواقفات، للشاطبي (٤ / ٢٠٨-٢٠٩).



في التأويل، وفهم الآيات وتوجيهها التوجيه الأرجح، وفهم كثير من القضايا الشائكة في التفسير، وحفظ القرآن من التحريف والتأويل والتعسف في التفسير، ولن يُعنِّي أعناق النصوص كالذين يتخذون القرآن مصدرًا للعلوم لم ينزل لبيانها، ويتكلفون في الاستدلال لنظرياتهم وأرائهم الفكرية، من القرآن الكريم^(١).

قال الشاطبي (ت ٧٩٠ هـ): "من فهم باطن ما خوطب به لم يحصل على أحكام الله حتى ينال منها بالتبديل والتغيير، ومن وقف مع مجرد الظاهر غير ملتفت إلى المعنى المقصود؛ اقتحم هذه المتاهمات البعيدة..."

فكل من زاغ ومال عن الصراط المستقيم؛ فبمقدار ما فاته من باطن القرآن فهماً وعلمًا، وكل من أصحاب الحق وصادف الصواب؛ فعلى مقدار ما حصل له من فهم باطننه"^(٢).



(١) مقاربات "مقاصد القرآن الكريم": دراسة تاريخية، عبد الرحمن حلبي (ص ٢٢٨).

(٢) المواقفات، للشاطبي (٤ / ٢٢١-٢٢٣).



المبحث الثاني

التعريف بسورة «ق»

❖ **الطلب الأول :** اسم السُّورة وعدد آياتها ومرحلة نزولها.

❖ **المسألة الأولى:** اسم السُّورة^(١):

سُميَت في عصر الصحابة بسورة (ق) : لافتتاحها بحرف الهجاء (قاف)، مثل: سُورة (طه)، و(يس)، و(ص).

وهو اسم توقيفي؛ لأنَّه قد وردت في ذلك أحاديث وأثار ثابتة^(٢)، منها ما رواه عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود: أنَّ عمر بن الخطاب سأله أباً وقد اللَّيْثي: ما كان يقرأ به رسول الله ﷺ في الأضحى والفطر؟ فقال: كان يقرأ فيهما بـ «قٰ وَالْقُرْآنَ الْعَجِيدَ» و«أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَ الْقَمَرُ» [القمر: ١]، [رواه مسلم]^(٣).

وكذلك سُميَت بسورة (الباسقات)، لورودها في قوله تعالى: «وَالنَّخْلَ بَاسِقَتِ لَهَا طَلْعٌ نَّضِيدُ» [ق: ١٠]، وهو اسم اجتهادي؛ لأنَّه لم يرد في حديث ولا أثر، بل هي من تسمية بعض المفسرين^(٤).

❖ **المسألة الثانية:** عدد آياتها وكلماتها وحروفها^(٥):

اتفق العلماء أنَّ عدد آياتها خمس وأربعون (٤٥) آية، لا تُعدُّ فيها (ق) آيةً

(١) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٦ / ٢٧٣)، وأسماء السور وفضائلها، لمذكرة الدوسيري (ص ٣٩٦-٣٩٩).

(٢) سيأتي ذكر الأحاديث في المطلب الثاني: فضل سورة «ق».

(٣) رواه مسلم في كتاب صلاة العيددين (ح ٨٩١ / ٣ / ٢١).

(٤) انظر: جمال القراء، للسخاوي (١ / ٣٧)، والإتقان في علوم القرآن، للسيوطى (٢ / ٣٦٢)، وزاد المسير، لابن الجوزي (٨ / ٣)، ونظم الدرر، للبقاعي (١٨ / ٣٩٦).

(٥) انظر: البيان في عد آي القرآن، لأبي عمرو الداني (ص ٢٣١).



مستقلة. وأمّا كَلِمَهَا فَهِيَ ثَلَاثٌ مِتْهَةٌ وَخَمْسٌ وَسَبْعُونَ (٣٧٥) كَلِمَة، وَحُرُوفُهَا أَلْفٌ وَأَرْبَعٌ مِتْهَةٌ وَأَرْبَعَةٌ وَسَبْعُونَ (١٤٧٤) حُرْفًا.

❖ المسألة الثالثة: مرحلة نزول السُّورة (مكيتها ومدنيتها):

هي سُورَةٌ مَكِيَّةٌ عِنْدَ أَعْلَمِ الْمُفَسِّرِينَ، وَنَقْلُ ابْنِ حَزْمٍ وَابْنِ عَطِيَّةَ^(١) هِيَ إِجْمَاعٌ عَلَى ذَلِكَ.

وَاسْتَشْنَى السِّيَوْطِيُّ^(٢) مِنْهَا قَوْلَهُ تَعَالَى: «وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْأَسْمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا يَنْهَا فِي سَيَّةٍ أَتَيْمِ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ» [ق: ٣٨]، وَنَسْبَهُ الْقَرْطَبِيُّ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ وَقَتَادَةَ^(٣).

وَذَلِكَ مَا أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ وَغَيْرُهُ أَنَّهَا نَزَّلَتْ رَدًّا عَلَى الْيَهُودِ فِي قَوْلِهِمْ: إِنَّ اللَّهَ أَسْتَرَاهُ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ وَهُوَ يَوْمُ السُّبْتِ^(٤).

يُعْنِي: أَنَّ مَقَالَةَ الْيَهُودِ سُمِعَتْ بِالْمَدِينَةِ، وَأَلْحَقَتْ بِهَذِهِ السُّورَةِ لِمُنَاسَبَةِ مَوْقِعِهَا؛ لَكِنَّ ابْنَ عَاشُورَ ضَعَّفَ هَذَا الْقَوْلَ وَعَدَّهُ مِنَ التَّكْلِفِ^(٥).

❖ المطلب الثاني: فضل سُورَةِ (ق).

سُورَةُ (ق) "أُولُ الْحَزْبِ الْمَفْصَلِ - عَلَى الصَّحِيحِ -"^(٦)، وَ"قَدْ تضَمَّنَتْ

(١) انظر: الناسخ والمنسوخ، لابن حزم (ص ٥٧)، المحرر الوجيز، لابن عطيه (٥ / ١٥٥).

(٢) انظر: الإتقان في علوم القرآن، للسيوطى (١١ / ١٠٢).

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٩ / ٤٢٤).

(٤) المستدرك على الصحيحين، للحاكم النيسابوري (٤ / ٣٩١)، (ح ٣٧٢٨)، (٥ / ٧)، (ح ٤٠٤٥). فيه أبو سعد سعيد بن المرزبان: ضعيف مدلس، وقال ابن معين: لا يكتب حدیثه، وقال الذہبی في "التلخیص": رواه عبد الرزاق، عن ابن عینة، عن أبي سعد مرسلاً، لم یذكر ابن عباس. اهـ. فالحدیث ضعیف.

(٥) انظر: التحریر والتنویر، لابن عاشور (٢٦ / ٢٧٤، ٣٢٥).

(٦) تفسیر ابن کثیر (١٣ / ١٧٧). وانظر: مصاعد النظر، للبغاعی (٣ / ١٧).



من أصول الإيمان ما أوجبت أن النبي ﷺ كان يقرأ بها في المجامع العظام؛ فيقرأ بها في خطبة الجمعة، وفي صلاة العيد، وكان من كثرة قراءته لها يقرأ بها في صلاة الصبح، وكل ذلك ثابت صحيح^(١):

○ **فَعَنْ أُمِّ هِشَامِ بْنِ حَارِثَةِ بْنِ النَّعْمَانِ قَالَتْ :** لَقَدْ كَانَ تُؤْرِنَا وَتُنُورُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَاحِدًا، سَتِينَ أَوْ سَنَةً وَبَعْضُ سَنَةٍ، وَمَا أَخْذَتْ **﴿قٌ وَّلَقْرَءٌ إِنَّ الْمَجِيدَ﴾** إِلَّا عَنْ لِسَانِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَقْرَأُهَا كُلَّ يَوْمٍ جُمْعَةً عَلَى الْمِنْبَرِ إِذَا خَطَبَ النَّاسَ . [رواه مسلم]^(٢).

○ **وَعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمْرَةَ قَالَ :** إِنَّ النَّبِيِّ ﷺ كَانَ يَقْرَأُ فِي الْفَجْرِ **﴿قٌ وَّلَقْرَءٌ إِنَّ الْمَجِيدَ﴾** وَكَانَ صَلَاتُهُ بَعْدُ تَخْفِيفًا . [رواه مسلم]^(٣).

○ **وَعَنْ قَطْبَةِ بْنِ مَالِكٍ :** قَالَ: صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِنَارِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَرَأَ: **﴿قٌ وَّلَقْرَءٌ إِنَّ الْمَجِيدَ﴾** حَتَّى قَرَأَ: **﴿وَالنَّحْلَ بَاسِقَدٍ﴾** قَالَ: فَجَعَلْتُ أُرْدَدُهَا، وَلَا أُدْرِي مَا قَالَ . [رواه مسلم]^(٤).

○ **وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَتْبَةِ بْنِ مَسْعُودٍ :** أَنَّ عُمَرَ بْنَ الخطَابَ سَأَلَ أَبَا وَاقِدِ الْلَّيْثِي: مَا كَانَ يَقْرَأُ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْأَضْحَى وَالْفَطْرِ؟ فَقَالَ: كَانَ يَقْرَأُ فِيهِمَا بِ**﴿قٌ وَّلَقْرَءٌ إِنَّ الْمَجِيدَ﴾** وَ**﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَ الْقَمَرُ﴾** [القمر: ١]. [رواه مسلم]^(٥).

قال الفخر الرازبي (ت ٦٠٦هـ) عن **مُنَاسَبَةِ قِرَاءَةِ سُورَةِ قَ** (ق) **فِي صَلَاتِ الْعِيدِ**: **لِقَوْلِهِ تَعَالَى فِيهَا:** **﴿ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾** [ق: ٤٢]، **وَقَوْلُهُ:** **﴿كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾** [ق: ١١].

(١) درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية (٧/٦٥).

(٢) رواه مسلم في الجمعة (٣/٨٧٣: ٥٢).

(٣) رواه مسلم في الصلاة (٢/٤٥٨: ٤٠).

(٤) رواه مسلم في الصلاة (٢/٤٥٧: ٣٩).

(٥) رواه مسلم في كتاب صلاة العيد (٣/٨٩١: ٢١).



وقوله: ﴿ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ [ق: ٤٤]; فإن العيد يوم الربينة فينبغي أن لا ينسى الإنسان خروجه إلى عرصات الحساب، ولا يكون في ذلك اليوم فرحاً فخوراً، ولا يرتكب فسقاً ولا فجوراً^(١).

✿ المطلب الثالث: ترتيب المصحف وترتيب النزول.

سُورَةُ (ق) هي السُّورةُ الْخَمْسُونُ بِتَرْتِيبِ الْمُصَحَّفِ، وَقَبْلَهَا سُورَةُ الْحِجَرَاتِ وَبَعْدَهَا سُورَةُ الْذَّارِيَاتِ.

وهي السُّورةُ الْرَّابِعَةُ وَالثَّالِثُونُ (٣٤) فِي تَرْتِيبِ نَزْوَلِ السُّورِ عِنْدَ جَابِرِ بْنِ زَيْدٍ، نَزَّلَتْ بَعْدَ سُورَةِ الْمَرْسَلَاتِ (٣٣) وَقَبْلَ سُورَةِ الْبَلْدِ (٣٥)^(٢).

✿ المطلب الرابع: المناسبات في سورة «ق».

﴿الْمَسَأَةُ الْأُولَى: مُنَاسَبَةُ أُولَى السُّورَةِ بِآخِرِهَا﴾^(٣):

بدأت سُورَةُ (ق) بِذِكْرِ الْقُرْآنِ ﴿فَوَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾، وَخَتَّمَتْ بِهِ ﴿فَذَكَرَ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾.

وَكَذَلِكَ بُدِئَتْ بِذِكْرِ الْبَعْثِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِذَا مَتَّنَا وَكَانَ رَبِيعًا ذَلِكَ رَجْمُ بَعِيدٌ﴾، وَخَتَّمَتْ بِهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ شَقَقَ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾. وَكَذَلِكَ ذِكْرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي أُولَى السُّورَةِ: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْهُمْ كَيْفَ بَيْنَهَا وَرَبِّنَهَا وَمَا هَا مِنْ فُرُوجٍ ...﴾ الْآيَاتُ، وَقَالَ فِي آخِرِهَا: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾.

(١) مفاتيح الغيب، للرازي (٢٨ / ١٤٥). وانظر أيضًا: مصادر النظر للإشراف على مقاصد السور، للبقاعي (٣ / ٢١).

(٢) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٦ / ٢٧٣).

(٣) انظر: مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع، للسيوطى (ص ٦٧)، ومفاتيح الغيب، للرازي (٢٨ / ١٩٢).



» المسألة الثانية: مُناسبة السُّورة لِما قبلها (سُورة الحجرات):
اعتنى العلماء ببيان مُناسبات السُّور، وهي مسألة اجتهادية غالباً،
ولذلك تعددت أقوالهم فيها:

فقال الإمام أبو حيان الأندلسي (ت 745هـ): "ومناسبتها لآخر ما قبلها،
أنه تعالى أخبر أن أولئك الذين قالوا: ﴿أَمَّا﴾ [الحجرات: ١٤]، لم يكن إيمانهم
حقاً، وانتفاء إيمانهم دليل على إنكار نبوة الرَّسول ﷺ، فقال: ﴿بَلْ عَجَّبْتُ أَنْ جَاءَهُمْ
مُنذِّرٌ﴾ [ق: ٢]، وعدم الإيمان أيضاً يدل على إنكار البعث، فلذلك أعقبه به" ^(١).

وقال البقاعي (ت 885هـ): "مقصودها (أي: سُورة ق) الدلالة على إحاطة
القدرة، التي هي نتيجة ما ختمت به الحجرات، من إحاطة العلم لبيان أنه لا بد
من البعث ليوم الوعيد" ^(٢).

وقال الطبرسي (ت 485هـ): "لما ختم الله تلك السُّورة بذكر الإيمان
وشرائطه للعيid، افتتح هذه السُّورة بذكر ما يجب الإيمان به من القرآن وأدلة
التوحيد" ^(٣).

» المسألة الثالثة: مُناسبة السُّورة لِما بعدها (سُورة الذاريات):
ذكر في سُورة (ق) البعث والجزاء والجنة والنار، وافتتح سُورة الذاريات
بالقسم بأن ما وعدوا من ذلك صدق وأن الجزاء واقع. وذكر في سُورة (ق)
إهلاك كثير من القرون على وجه الإجمال، وذكر ذلك على وجه التفصيل في
سُورة الذاريات ^(٤).

(١) تفسير البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي (٩/ ٥٢٨).

(٢) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، للبقاعي (٣/ ١٤).

(٣) مجمع البيان، للطبرسي (٩/ ١٧٨).

(٤) انظر: تفسير المراغي (٢٦/ ١٧٣)، وأسرار ترتيب القرآن، للسيوطى (ص ١٣٣).



» المسألة الرابعة: المناسبة بين سورة (ق) وما قبلها من حيث النزول (سورة

المرسلات):

تعالج سورة المرسلات موضوع المكذبين بيوم الدين بالترغيب والترهيب.
وتتابع سورة (ق) موضوع معالجة المكذبين بيوم الدين بأسلوب آخر.

وهذه المعالجات الفكرية والنفسية التي اشتغلت عليها سورة (ق) إنما هي معالجات تكميلية لما جاء في سورة المرسلات، وليس مكررة تكريراً تطابقياً.
وتضيف إليه سورة (ق) معالجة المكذبين برسالة محمد ﷺ بحجة أنه بشر منهم، ومعالجة نفس الرَّسُول ﷺ وتشييـت قلبه، تجاه ما كان يلقاه من تكذيب قومه، وما يواجهونه به من أقوال جارحة^(١).

» المسألة الخامسة: المناسبة بين سورة (ق) وما بعدها من حيث النزول

(سورة البلد):

يدور موضوع سورة البلد حول الابلاء الذي هو الغاية من خلق الإنسان، والذي يستتبع باللزم العقلي، التكليف، والمسؤولية، ثم المحاسبة، وفصل القضاء، وتحقيق الجزاء.

كذلك جاء في السُّورة بيان بعض صوارف النفس عن الإيمان بيوم الدين، فسورة البلد تتبع استكمال الإقناع بقانونجزاء الرباني، الذي دار حوله موضوع سورة ق^(٢).

.....

(١) انظر: معارج التفكـر ودقائق التدبر، لعبد الرحمن حسن الميداني (٢/٥٤٦)، و(٣/١١).

(٢) انظر: معارج التفكـر ودقائق التدبر، لعبد الرحمن حسن الميداني (٣/١٧٤-١٧٢).



المبحث الثالث

التدبیر المقادسي لسورة (ق)

● الطلب الأول : مقصود السورة.

تُعالِج سُورَةً (ق) - كغيرها من السُّور المكَيَّة - مَوْضِعَ الْمَكَذِّبِين بِرَسَالَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَبِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ نَبَأِ الْبَعْثِ وَالْحِسَابِ، إِلَّا أَنَّهَا فِي مَعَالِجَةِ الْبَعْثِ أَظْهَرَ^(١).

قال البقاعي (ت ٨٨٥ هـ): "مَقْصُودُهَا تَصْدِيقُ النَّبِيِّ ﷺ فِي الرِّسَالَةِ الَّتِي مُعَظِّمُهَا الْإِنْذَارُ وَأَعْظَمُهُ الْإِعْلَامُ بِيَوْمِ الْخُرُوجِ"^(٢).

⇨ دلائل المقصود :

١ - آية صريحة في المقصود: قال تعالى: ﴿قَوْلَقُرْآنِ الْمَجِيدِ ۖ ۚ بِلَعَبْوُا
أَنْ جَاءُهُمْ مُنْذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ۖ ۚ أَءَذَا مِنَّا وَكَانَ زُرْبًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ .
وَالإِضْرَابُ الْأَنْتِقَالِيُّ مِنَ الْقَسْمِ بِالْقُرْآنِ إِلَى عَرْضِ مَقَالَةِ الْمُشَرِّكِينَ فِي إِنْكَارِ النُّبُوَّةِ وَإِنْكَارِ الْمَعَادِ، مُشَعِّرٌ بِأَهْمَيَّةِ الْمُنْتَقَلِ إِلَيْهِ، وَأَنَّهُ مُحَوْرُ الْكَلَامِ.

٢ - مُنْاسِبَةُ فَاتِحةِ السُّورَةِ بِخَاتَمِهَا: أَنَّ السُّورَةَ افْتُتَحَتْ بِالْقَسْمِ بِالْقُرْآنِ، ثُمَّ عُرِضَتْ شُبَهَةُ الْمُشَرِّكِينَ فِي إِنْكَارِ الْبَعْثِ، ثُمَّ عَقِبَتْ الشُّبَهَةُ بِتَقْرِيرِ قَدْرَةِ اللهِ فِي آيَاتِ الْكَوْنِ وَفِي إِهْلَاكِ الْمَكَذِّبِينَ، وَخَتَّمَتْ كَذَلِكَ بِتَقْرِيرِ وَقْوَعِ الْبَعْثِ، وَالْأَمْرُ بِالتَّذْكِيرِ بِالْقُرْآنِ، مُبَيِّنٌ بِذَلِكَ أَنَّ الْقُرْآنَ الْمَعْجَزُ هُوَ مِنْ أَوْضَعِ أَدَلةِ الْبَعْثِ، وَأَنَّ التَّدْبِيرَ فِي الْقُرْآنِ مِنْ أَعْظَمِ الْطُّرُقِ الْمُوَصَّلَةِ إِلَى مَعْرِفَةِ الْحَقِّ.

(١) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي (٢٨ / ١٤٥)، والتحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٦ / ٢٧٥)، ومعارج التفكير، للميداني (٣ / ١١).

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي (١٨ / ٣٩٦).



٣- وقت نزولها^(١): السورة مكية، والغالب في السور المكية أنها تقرر التوحيد والعقيدة السليمة، خصوصاً ما يتعلق بتوحيد الألوهية، والإيمان بالبعث؛ لأن غالب المخاطبين ينكرون ذلك^(٢).

٤- ترتيب نزولها^(٣): نزلت سورة (ق) بعد سورة المرسلات، وقد عالجت سورة المرسلات موضوع المكذبين بيوم الدين بالترغيب والترهيب، وما هذه السورة إلا معالجة تكاملية مع سابقتها في إثبات المعاد بأسلوب الإقناع الفكري، إلا أن سورة (ق) تزيد عليها في إثبات النبوة، وبيان هلاك المكذبين من الأمم السابقة.

وقد نزلت سورة البلد بعد سورة (ق)، وهي تتبع استكمال الإقناع بقانون الجزاء الرباني.

٥- ترتيب المصحف: ختمت سورة الحجرات (٤٩) بتقرير شمول علم الله ﷺ، وأكملت سورة (ق) ذلك أيضاً مع تقرير كمال قدرة الله ﷺ، (وهو من أظهر أدلة البعث)، ثم تلتها سورة الذاريات مبينة حكمة الله من خلق الإنسان بعد التأكيد على عظيم قدرة الله سبحانه.

٦- فضائلها^(٤): كان النبي ﷺ يواكب على قراءتها في المحافل الكبار، والمجامع العظام، مما يدل على اشتتمالها على أسس العقيدة الإسلامية، ومن أهمها: الإيمان بالبعث والمعاد.

٧- موضوعاتها: تناولت سورة (ق) عدداً من قضيائيا العقيدة الإسلامية، وكلها تؤول إلى قضيّة البعث بعد الموت، وسيأتي بيانها في المطب التالي.

(١) يراجع: المطلب الأول من المبحث الثاني.

(٢) انظر: أصول في التفسير، ابن عثيمين (ص ١٩).

(٣) يراجع المطلب الرابع من المبحث السابق.

(٤) يراجع: المطلب الثاني من المبحث السابق.



٨- خصائصها: تكرّر فيها حرف القاف سبعًا وخمسين (٥٧) مرّة^(١)،

فقد تكرّرت فيها الكلمات التي تشتمل على حرف القاف بشكل ملحوظ.

قال ابن القيم (ت ٦٧٥١ هـ): "وتأمل السُّور التي اشتملت على الحروف المفردة، كيف تجد السُّورة مبنية على كلمة ذلك الحرف، فمن ذلك: (ق)، والسُّورة مبنية على الكلمات القافية: من ذكر القرآن، وذكر الخلق، وتكرير القول ومجتعته مراً، والقرب من ابن آدم، وتلقي الملائكة قول العبد، وذكر الرقيب، وذكر السائق، والقررين، والإلقاء في جهنم، والتقدُّم بالوعيد، وذكر المتقيين، وذكر القلب، والقرون، والتنيق في البلاد، وذكر "القبل" مرتين، وتشقُّ الأرض، وإلقاء الرواسي فيها، وبسوق النخل، والرزق، وذكر القوم، وحقوق الوعيد، ولو لم يكن إلا تكرار القول والمحاورة.

وسِرُّ آخر: وهو أن كل معاني هذه السُّورة مُناسبةٌ لما في حرف القاف من الشدة والجهر والعلو والافتتاح^(٢). اهـ.

﴿المطلب الثاني: موضوعات السُّورة﴾^(٣).

اشتملت سُورة (ق) على عدة موضوعات جزئية تخص العقيدة الإسلامية، وكلها تتعلق بمعالجة موضوع البعث، والرسالة^(٤)، وإليك بيانها فيما يلي:

(١) مظاهر الإعجاز البياني في القرآن الكريم، أحمد قوفي (ص ١٢٧).

(٢) بدائع الفوائد، لابن القيم (٣ / ١١٢٠ - ١١٢١). وقد نقله الزركشي (ت ٦٧٩٤ هـ) في البرهان في علوم القرآن (١ / ١٦٩)، مع فروق بسيرة، والمطبوع فيه تصحيفات عديدة.

(٣) **موضوعات السُّورة:** هي المعاني الجزئية التي تشتمل عليها أجزاء السُّورة. أما مقصد السُّورة فهو المعنى العام الذي يجمع هذه المقاصد الجزئية ويربط بينها.

(٤) انظر: تفسير ابن كثير (١٣ / ١٧٩)، والفوائد، لابن القيم (ص ٥ - ٦)، وبصائر ذوي التميز، للفيروزآبادي (١ / ٤٣٧)، والتحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٦ / ٢٧٥)، ومعارج التفكير، للميداني (٣ / ١٢ - ١٥).



- ◆ التنويه بشأن القرآن وإعجازه، وتصديق من جاء به (محمد ﷺ)، وبما جاء به (ومنه البعث والحساب).
- ◆ عرض شبّهات المشركين في التكذيب بالرسالة والبعث، والرد عليها بتقرير كمال علم الرب سبحانه، وكمال قدرته، وكمال حكمته^(١).
- ◆ بيان مظاهر قدرة الله في السماوات والأرض، ومنها إنبات الأقواف والشمار بإنزلال المطر. وهو من أوضح الأدلة على البعث.
- ◆ بيان مظاهر قدرة الله في إهلاك المكذبين للرسل من الأمم السابقة، وتهديد المشركين المكذبين بالبعث بالعذاب الدنيوي، وتشبيت قلب النبي ﷺ، وتسلية.
- ◆ تقرير المبدأ والمعاد والتوكيد والنبوة والإيمان بالملائكة.
- ◆ بيان رقابة الله تعالى وهيمنته على الإنسان التي تبدأ من ولادته، وتمر بالموت، ثم تنتهي بالبعث والحساب، ثم المصير إلى الجنة أو النار.
- ◆ ذكر النار وعداها، والجنة ونعمتها، وبيان صفات أهل كلّ منها.
- ◆ إثبات صفات الكمال لله وتنزيهه عما يضاد كماله من الناقص والعيوب.
- ◆ بيان "أن كمال الرب تعالى وكمال أسمائه وصفاته تقتضي المعاد وتوجبه، وأنه مُنْزَهٌ عما يقوله منكريه كما يُنْزَهُ كماله عن سائر العيوب والناقص"^(٢).

(١) فائدة: ذكر ابن القيم رحمه الله أن براهين المعاد في القرآن مبنية على ثلاثة أصول: [١-] تقرير كمال علم الرب سبحانه، [٢-] وكمال قدرته، [٣-] وكمال حكمته. وذلك لأن شبه المنيكرين للبعث تعود إلى ثلاثة أنواع: [١-] إنكار علم الله بالأجزاء المتفرقة المختلفة بأجزاء الأرض على وجه لا يحصل به تمييز أجزاء مختلف الأشخاص، [٢-] وإنكار قدرة الله على جمع تلك الأجزاء المتفرقة، وإعادة الأرواح إليها، [٣-] وإنكار الحكمة في إحياء الموتى. (انظر: الفوائد، لابن القيم، ص ٨-٧).

(٢) انظر: الفوائد، لابن القيم (ص ٩).



❖ المطلب الثالث: مقاطع السورة.

يمكن تقسيم سورة (ق) وفق مقصدها إلى ثلاثة مقاطع رئيسة:

☒ المقطع الأول: من أول السورة إلى قوله تعالى: ﴿أَفَعَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبَسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ وفيها عرض شبهة المشركين، والرد عليها بتقرير شمول علمه وكمال قدرته، وعرض بعض مظاهر قدرته من آيات الله في الكون، وفي إهلاك الأمم السابقة.

☒ المقطع الثاني: من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ إلى قوله ﴿لَهُمَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [الآيات: ٣٥-٣٦]: وفيها "بيان رقابة الله تعالى وهيمنته على الإنسان التي تبدأ من ولادته، وتمر بالموت، ثم تنتهي بالبعث والحساب، ثم المصير إلى الجنة أو النار".

☒ المقطع الثالث: من قوله تعالى: ﴿وَكُمْ أَهْلَكْنَا فَلَهُمْ مِّنْ قَرْنٍ﴾ إلى آخر السورة [الآيات: ٤٥-٣٦]، وفيه تسلية الرَّسُول ﷺ، وبيان حقيقة رسالته، وتهديد المشركين، وتقرير البعث. ويمكن القول أن أغليبه تأكيدٌ لما ورد في أوائل السورة تصريحاً أو تلميحاً في ترتيب معكوسٍ.

❖ المطلب الرابع: التدبر المقصادي للآيات.

❖ المقطع الأول [الآيات: ١٥-١]:

﴿قَ وَالْقُرْآنُ الْمَجِيدُ﴾^(١): هذه الآية واردةٌ في التنويه بشأن القرآن الكريم، وبيان إعجازه، وأنه المصدر الأصيل لتلقي براهين البعث ودلائل النبوة؛ فقد أقسم الله ﷺ بالقرآن، الدال على شرفه وعظمي منزلته ورفعته وعلوه على كل

^(١) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٦/٢٧٦)، ومعارج التفكير، للميداني (٣/١٦-١٩).

سائر الكلام؛ لأن التحدي بإعجاز القرآن الكريم، وعجز الكفار بل البشر جميماً عن معارضته بمثله - أقطع برهانٍ على كونه من عند الله، وأسطع حجة على صدق محمد ﷺ في دعاء الرسالة، وعلى صدق ما جاء به من نبأ البعث بعد الموت والجزاء والحساب. وفي هذا تشنيعٌ للكفار وبيانٌ لقبح موقفهم من النبي ﷺ، ومما جاء به من أمر البعث والحساب، وتأكيدٌ على أن القوة الحقيقة هي قوة الحجة والبرهان التي بها أتى القرآن، وعلى أن القرآن هو محور الدعوة، ولها افتتحت هذه السورة به، كما ختمت به: ﴿فَذَكِرْ إِلَّا قُرْءَانٌ مَّن يَخَافُ وَعِيدٍ﴾.

﴿بَلْ عَجِيْلُوْأَنْ جَاءَهُمْ مُّنْذِرُوْمِنْهُمْ فَقَالَ الْكَفِرُوْنَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيْلُوْبِ﴾: هذه الآية واردةٌ في عرض مقالة المشركين في إنكار الرسالة والتکذیب بالبعث، ففيها ذكر تعجبهم الإنکاري من إرسال رسول من جنسهم البشري، متعللين أن كون الرسول بشراً ينافي الحکمة الربانية، وكذلك تعجبهم من إنذاره ﷺ إياهم عذاب الله يوم القيمة، ودعوتهم إياهم للإيمان بعد البعث بعد الموت.

وفي الآية ما يؤكّد على "تقبيح المماراة في الحق والتعمد في المعارضة اتباعاً للهوى وتقبيح التمسك بالتقاليد الموروثة غير الصائبة"^(١)، فقد "أنكروا رسالته وفضل كتابه بأسنتهم نفاسة وحسداً، وفي هذا دليلٌ على أن الكبر والحسد من موائع قبول الحق، وأنه يفضي إلى السفه...؛ لأنهم عجبوا أن كان الرسول بشراً واستعظموه بذلك، وأوجبوا أن يكون الإله حجراً، وعجبوا من أن يعادوا من تراب، وثبتت لهم الحياة، ولم يعجوه أن يُبتدؤوا من تراب ولم يكن له أصل في الحياة"^(٢)، وذلك لأن كفرهم "يقوم على ستر الأدلة التي

(١) انظر: التفسير الحديث، لمحمد دروزة عزت (٢ / ٣٠١).

(٢)نظم الدرر في تناسب الآيات وال سور، للبقاعي (١٨ / ٤٠٤).

تبنت الحق ببراهينه، بطرح الشبهات، وإلقاء عبارات التعجب، وادعاء أن الأمر غير مقبول عقلاً^(١).

﴿أَءِذَا مِنَّا وَكَانُوا بِذَلِكَ رَجُعٌ بَعِيدٌ﴾: هذه الآية واردة في بيان شبهة المشركين الساذجة في إنكار البعث واستبعاد الحياة بعد الموت، وهي أن يلي الأجساد وصيروتها رفاتاً، واحتلاطها بالتراب، وتفرق أجزائها في مناحي الأرض ومهاب الرياح لا تُقي أملًا في إمكان جمعها، لعدم العلم بموقع تلك الأجزاء وذراتها، ولو علمت موضعها فكيف تُعاد إليها أرواحها، ذلك رجوعٌ يستبعد العقل وقوعه، وتحيله العادة^(٢). وفيها ذكر إنكار المشركين لعلم الله تعالى بالأشياء وقدرته على خلق ما يريد، المتضمن ذلك إنكار حكمة الله في خلق الإنسان^(٣).

﴿قَدْ عِلِّمْنَا مَا نَقْصُ الأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ﴾: هذه الآية ردٌّ موجزٌ على شبهة المشركين في إنكار البعث واستبعاده، وفيها "تقرير كمال علم الله سبحانه"^(٤) وتقرير قدرته ضمناً، وبيان أنه سبحانه "قد علم ما تنقصه الأرض من لحوthem وعظامهم وأشعارهم، وأنه كما هو عالم بتلك الأجزاء، فهو قادر على تحصيلها وجمعها بعد تفرقها وتأليفها خلقاً جديداً"^(٥).

وفي الآية "تقريرٌ لعقيدة القضاء والقدر بتقرير كتاب المقادير"^(٦).

وَيَقُولُونَ إِنَّمَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ

(١) معارج التفكير و دقائق التدبیر، لعبد الرحمن الميداني (٣ / ٢١، ٢٤).

(٢) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٦ / ٢٨٠).

(٣) معارج التفكير، لعبد الرحمن الميداني (٣ / ٢٨). وانظر: الفوائد، لابن القيم (ص ٧-٨).

(٤) الفوائد، لابن القيم (ص ٨).

(٥) الفوائد، لابن القيم (ص ٧).

(٦) انظر: أيسر التفاسير، للجزائري (٥ / ١٣٨).



﴿مِنْهُمْ﴾، دلالة على ما ورد في حديث: «لَيْسَ مِنَ الْإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَبْلِي، إِلَّا عَظِمًا وَاحِدًا، وَهُوَ عَجْبُ الدَّنَبِ، وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١).

﴿بَلْ كَذَبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ﴾: هذه الآية واردة في تقرير المعاد بيـان بطـلان موقف المـشرـكـين من التـكـذـيبـ بالـحقـ بـذـكرـ دـلـيلـ البـطـلـانـ وـهـوـ الـاضـطـرـابـ، وـبـيـانـ سـبـبـهـ وـهـوـ الـاسـتـعـجالـ. لأنـ "الـاضـطـرـابـ موـجـبـ لـلـاخـتـلـافـ، وـذـلـكـ أـدـلـ دـلـيلـ عـلـىـ الإـبـطـالـ، كـمـاـ أـنـ الثـبـاتـ وـالـخـلوـصـ مـوـجـبـ لـلـاـتـفـاقـ، وـذـلـكـ أـدـلـ دـلـيلـ عـلـىـ الـحـقـيقـةـ"؛ فـ"الـجـزـمـ الصـحـيحـ لاـيـتـغـيرـ وـلاـ يـتـبـدـلـ... [أـمـاـ الـمـشـرـكـونـ] فـكـانـ أـمـرـهـمـ مـضـطـرـبـاـ"؛ (وـذـلـكـ فـيـ وـصـفـهـمـ الـقـرـآنـ بـأـنـهـ سـحـرـ، وـتـارـةـ كـهـانـةـ، وـتـارـةـ شـعـرـ، وـتـارـةـ كـذـبـ، وـتـارـةـ يـنـفـونـ الـرـسـالـةـ عنـ الـبـشـرـ، وـأـخـرـىـ يـزـعـمـونـ أـنـهـ لـاـ تـلـيقـ إـلـاـ بـأـهـلـ الـجـاهـ وـالـرـئـاسـةـ)^(٢).

وسبـبـ هـذـاـ الاـخـتـلـافـ: إنـماـ هـوـ نـاشـئـ عـنـ اـسـتـعـجالـهـمـ فـيـ التـكـذـيبـ بالـقـرـآنـ، وـعـدـمـ النـظـرـ وـالـتـأـمـلـ فـيـ أـدـلـتـهـ. وـفـيـ هـذـاـ دـعـوـةـ لـلـمـشـرـكـينـ وـغـيـرـهـمـ إـلـىـ التـأـمـلـ فـيـ القـرـآنـ وـبـرـاهـيـنـهـ، وـتـأـكـيدـ عـلـىـ أـنـ "عـدـمـ التـائـيـ وـالـتـفـكـرـ مـانـعـ مـوـانـعـ الـاـهـتـدـاءـ لـلـحـقـ"؛ فـيـنـبـغـيـ لـلـإـنـسـانـ أـنـ يـقـابـلـ "كـلـ فـكـرـةـ أوـ دـعـوـةـ جـدـيـدةـ بـالـتـدـبـرـ وـالـتـرـوـيـ"؛ لأنـهـ يـعـيـنـ عـلـىـ مـعـرـفـةـ جـوـانـبـ الـحـقـ فـيـهـاـ وـمـوـاطـنـ الـخـللـ، وـيـعـصـمـ بـإـذـنـ اللهـ- منـ الـزـلـلـ.

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب ﴿يَوْمَ يُنَفَّعُ فِي الصُّورِ فَأَنْتُمْ أَفَوَاجَا﴾، (٤٩٣٥)، (٤٩٣٥). وانظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢٦ / ٢٨٣).

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات وال سور، للبقاعي (١٨ / ٤٠٧).

(٣) مفاتيح الغيب، للفخر الرازي (٢٨ / ١٥٤).

(٤) انظر: نظم الدرر، للبقاعي (١٨ / ٤٠٧)، والتحرير والتنوير، ابن عاشور (٢٦ / ٢٨٥)، وتفسير المراغي (٢٦ / ١٥٢ - ١٥٣).

(٥) التفسير الحديـثـ، لمـحمدـ درـوزـةـ عـزـتـ (٢ / ٣٠١).

﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْهُمْ كَيْفَ بَيْتَنَاهَا وَرَيَّتَهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴾^(١) **وَالْأَرْضَ**
مَدَّتْهَا وَلَقَيْنَا فِيهَا رَوَسِيَّ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٢﴾ : هاتان الآياتان واردتان في تقرير عقيدة البعث بمظاهر القدرة الإلهية في الكون، وهي التي أنكرها المشركون في سياق إنكارهم للبعث، فكما أن الآية السابقة فيها دعوة إلى التفكير في القرآن وبراهين صدقه، فكذلك هذه الآية فيها دعوة الكافرين وسائر الناس إلى التأمل في "العالم العلوي وبنائه وارتفاعه واستوائه وحسناته والتئامه، ثم إلى العالم السفلي وهو الأرض، وكيف بسطها [الله بتعالى] وهيأها بالبسط لما يراد منها، وثبتتها بالجبال، وأنبت فيها من كل صنفٍ حسن من أصناف النبات على اختلاف أشكاله وألوانه ومقاديره ومنافعه وصفاته".^(٣)

فكل ذلك دالٌّ على كمال قدرته سبحانه، وعلمه المحيط بكل شيء، وعلى عظيم حكمته، وبالغ إتقانه لكل ما خلق، ودقيق صنعه، وغير ذلك من صفات الكمال. وفي هذا دلالة على مشروعية النظر والاعتبار فيما يحيط بالإنسان من آيات الله في الكون وما فيها من منافع، ليزداد إيمانه ويصل إلى رتبة اليقين، وليشكر نعمة ربه بعبادته، ولا يكروها بعبادة غيره.^(٤)

﴿تَبَصَّرَ وَذَكَرَ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ : هذه الآية "تذكير لمنكري البعث، وإيقاظ لهم عن سنة الغفلة، وبيان لإمكان ذلك، وعدم امتناعه"^(٥)، وفيها بيان أن "التَّبَصَرَةُ وَالذَّكْرُ مِنْ جُمِلَةِ الْحُكْمِ الَّتِي أَوْجَدَ اللَّهُ تَعَالَى الْمَخْلُوقَاتِ لِأَجْلِهَا"^(٦). لأن الله قد جعل في آياته الكونية وظيفتين: دنيوية للانتفاع بها

(١) الفوائد، لابن القيم (ص ٩).

(٢) انظر: معارج التفكير، لعبد الرحمن الميداني (٣ / ٣٧، ٥٦)، وأيسر التفاسير، للجزائري (٥ / ١٤٠ - ١٣٩)، والتحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٦ / ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٢).

(٣) فتح القدير، للشوكاني (٥ / ٩٦).

(٤) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٦ / ٢٩٠).



للمصالح الدنيا، وأخرى أخروية، من الدلالات على الله ﷺ وصفاته التي ينتفع بها العبد المنيب^(١).

"وفي إشارة إلى أن الوصول إلى مقام التبصرة إنما هو بالعبودية، والإنابة"^(٢)، ففي الآية "تشريف لجميع المؤمنين وبيان لفضلهم إذ لا يخلون من تبصر وتدكر بتلك الأفعال على تفاوت بينهم في ذلك...، وتعريف بإهمال الكافرين التبصر والتذكر".^(٣)

وفي هذا دلاله على "اعتبار من لا ينتفع بالشيء، عادما له"^(٤)، وفي هذا ما يؤكّد على أنه ينبغي للمؤمن أن يتفكّر في مخلوقات الله ويتأمل دقيق صنعه؛ لأنَّه "كُلَّمَا كَرَرَ شَهِيدَ الْمُتَأْمَلُ آيَاتَ اللَّهِ فِي الْكَوْنِ، تَعْلَمُ مِنْهَا أَشْيَاءً جَدِيدَةً، وَزَادَتْهُ مَعْرِفَةً بِحَقَائِقِ عَنْ خَالِقَهَا وَمُبْدِعَهَا"^(٥)، وعلم يقيناً أنه ما خلق شيئاً، بل لأجل حكمة جليلة وغاية سامية، وعلم أنه محاسب على أعماله، وأنه لا بد من جراء وحساب.

﴿وَنَزَّلَنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَرَّكًا فَانْبَثَنَا بِهِ، جَنَّتِ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ١٦٠ وَانْخَلَ بَاسِقَتِ هَـا طَلْعُ نَصِيدُ ١٦١ رِزْقًا لِلْعَبَادِ وَأَحْيَنَا بِهِ بَلَدَةً مَيَّتَأً كَذَلِكَ الْمُرْفُجُ﴾^(٦): هذه الآيات واردة في دفع استحاله البعث وإظهار تقريره^(٧)، بذكر "أبهى الآيات وأدلها عليه، والتي

(١) انظر: معارج التفكير، للميداني (٣ / ٦٣).

(٢) روح البيان، للخلوقي (٩ / ١٠٧).

(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٦ / ٢٩١).

(٤)نظم الدرر في تناسب الآيات وال سور، للبقاعي (١٨ / ٤١١).

(٥) معارج التفكير، للميداني (٣ / ٤١).

(٦) انظر: الفوائد، لابن القيم (ص ٩-١٠)، ونظم الدرر في تناسب الآيات وال سور (١٨ / ٤١٤)، والتحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٦ / ٢٩٢)، ومعارج التفكير، للميداني (٣ / ٤٢).

(٧) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٦ / ٢٩٥).

تجدد على مرور الدهر" ، وهي تكميل لما سبق من تقرير كمال قدرة الله وشمول علمه وجليل حكمته، وفيها قياس بعث الناس للحياة الأخرى، بعد موتها وفنا أجسادهم على إعادة حياة النباتات من بذورها، والامتنان بمظاهر الجمال في خلق الله، وبنعمته المطر وما يكون بإزاره من الإنبات وحصول الشمار والأقوات للأدميين والبهائم، وإحياء الأرض بعد موتها. و"الإشارة إلى اختلاف أحوال استحصل ما ينفع الناس من أنواع النبات؛ فإن الجنات تستشرن وأصولها باقية، والحبوب تستشرن بعد حصد أصولها"^(١). وفيه "تبيبة" على أن اللائق بالعبد أن يكون انتفاعه بذلك من حيث التذكرة والاستیصار أقدم وأهم من تتمتع به من حيث الرزق"^(٢). لأن "الرزق حاصل لكل أحد، غير أن المنين يأكل ذاكراً شاكراً للإنعام، وغيره يأكل كما تأكل الأنعام!"^(٣).

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمٌ نُوحٌ رَّأَصَّبَهُ الْرَّئِسُ وَثَمُودٌ ١٦٠ وَعَادٌ وَفَرِيعَةُ وَإِخْرَانُ لُوطٌ ١٧٠ وَرَأَصَّبَهُ الْأَيَّكَةُ وَقَوْمُ نَعِيْجٍ كُلُّ كَذَّبَ الْأَرْسَلَ فَيَقُولُ وَعِيدٌ﴾: انتقل الكلام بعد ذكر آيات الله في الأكونان والآفاق إلى ذكر آياته في الأنفس من المكذبين للرسل من قبل، فهذه الآيات واردة في "تقرير النبوة بأحسن تقرير، وأوجز لفظ، وأبعد عن كل شبهة وشك؛ فأخبر سبحانه أنه أرسل إلى قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وقوم فرعون رسلاً فكذبواهم، فأهلكتهم بأنواع الهلاك، وصدق فيهم وعيده الذي أوعدتهم به رسلاه إن لم يؤمنوا، وهذا تقرير لنبوتهم ولنبوة من أخبر بذلك عنهم من غير أن يتعلم ذلك من معلم ولا قرأه في كتاب، بل أخبر به إخباراً مفصلاً مطابقاً

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي (٤١٢ / ١٨).

(٢) روح المعاني، للألوسي (٤٢٣ / ٢٥).

(٣) مفاتيح الغيب، للرازي (٢٨ / ١٥٨).



لِمَا عند أهل الكتاب^(١). و"في ذلك تشريفُ للنبي ﷺ وللرسول السابقين"^(٢)، وتقدير لوحدة العقيدة والرسالة.

وفيه التعریض بالتهذید للمشرکین المکذبین بالرسالة والبعث، وتسليمة للرسول ﷺ، وتشیت لقلبه، بأنه ليس بداعاً من الرسل، بل هو رسول قد خلت من قبله الرسل^(٣)، لأن "المصيبة إذا عمت هانت"^(٤).

وفي الآية دلالة على "أن الاشتراك في العمل يوجب الاشتراك في الجزاء"^(٥)، وفي هذا دعوة إلى الاعتبار والاتعاظ ممن قص الله علينا نبأهم بالحق؛ فنعلم سنة الله الأزلية الكونية في نصره رسلاه، وتعذيبه المکذبین، وأن العاقبة للمتقين، والبوار والخزي على الظالمين.

﴿أَفَغَيْنَا بِالْحَقِّ الْأَوَّلِ لَلَّهُ فِي لَبِسِ مِنْ خَلْقِ جَدِيدٍ﴾: هذه الآية واردة في "تقیریر المعاد"، والرد على شبهة المشرکین في إحالة البعث، ففيها "الاستدلال بقدرة الله سبحانه على الخلق الأول، على قدرته على إعادة الخلق وإحياء الموتى والبعث في القيمة الكبرى"^(٦). لأن الإعادة لا يمكن أن تكون أصعب من البدء^(٧).

وفي هذا إنكار على منكري البعث، واتهام لمدارکهم بالضھالة والسطحية، و"تَوَرُّكُ عَلَيْهِمْ وَتَحْمِيقُ لَهُمْ وَتَوْبِيخُ لَهُمْ" من إحالتهم البعث^(٨).

(١) الفوائد، ابن القیم (ص ١٠).

(٢) التحریر والتنویر، ابن عاشور (٢٦ / ٢٩٧).

(٣) معراج التفکر، للمیدانی (٣ / ٧٤).

(٤)نظم الدرر في تناسب الآيات وال سور، للبقاعي (١٨ / ٤١٤).

(٥) تفسیر حدائق الروح والريحان، لمحمد الأمین الھری (٢٧ / ٤٣٦).

(٦) انظر: المستدرک على مجموع الفتاوى (١ / ٨٩)، والنبوات، ابن تیمیة (٢ / ٦٧٨).

(٧) أضواء البيان، للشنتیطي (٧ / ٦٨٦).

(٨) التحریر والتنویر، ابن عاشور (٢٦ / ٢٩٨).



❖ المقطع الثاني [الآيات: ٣٥-١٦]:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا إِلَيْسَنَ وَنَعَمْ مَا تُوَسِّعُ بِهِ فَسْمُهُ وَمَنْ أَقْرَبَ إِلَيْهِ مِنْ حَجَلِ الْوَرِيدِ﴾ : هذه الآية واردة في بيان بعض تفاصيل الخلق الأول المذكور في الآية: ﴿أَفَغَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ﴾ ، وفيها:

"التنبيه على أعظم آيات قدرة الله وشواهد ربوبيته وأدلة المعاد، وهو خلق الإنسان المركب من اللحم والعظم والعروق والأعصاب والرباطات والمنافذ والآلات والعلوم والإرادات والصناعات؛ كل ذلك من نطفة ماء"^(١).

و"التنبيه على سعة علم الله تعالى بأحوالهم كلها، فإذا كان يعلم حديث النفس؛ فلا عجب أن يعلم ما تنقص الأرض منهم" ، وفيه دلالة على أن "الوسواس في النفس يكون من الشيطان تارةً ومن النفس تارة"^(٢) ، وأن "بعض الإنسان يحجب البعض البعض، ولا يحجب علم الله شيء"^(٣).

وفيها "الكنية عن التحذير من إضمamar ما لا يرضي الله"^(٤) ، و"زجر عن المعاصي التي يستخفى بها"^(٥).

"وهذا مما يدعو الإنسان إلى مراقبة خالقه المطلع على ضميره وباطنه، القريب إليه في جميع أحواله، فيستحيي منه أن يراه حيث نهاه، أو يفقده حيث أمره"^(٦).

(١) انظر: الفوائد، لابن القيم (ص ١٢)، بتصرف.

(٢) منهاج السنة النبوية (٥ / ١٨٦).

(٣) تفسير القرطبي (١٩ / ٤٣٧).

(٤) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٦ / ٢٩٩).

(٥) تفسير القرطبي (١٩ / ٤٣٥).

(٦) تفسير السعدي (٧ / ١٧٠٠).



﴿إِذْ يَلْقَى الْمُتَقَبِّلَانَ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشَّمَالِ قَيْدٌ ۖ مَا يَكْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا دَيْرَ رَقِيبٌ عَيْدٌ﴾ : هاتان

الآياتان واردتان في بيان الرقابة الدائمة على كل إنسان^(١)؛ ففيها الإنذار الشديد والموعظة والتهديد بالجزاء للمشركين الذين كذبوا يوم البعث جحوداً واستكباراً، و"الإخبار بأن على يمين الإنسان وشماله ملكين يكتبان أعماله وأقواله والتنبيه بإحصاء الأقوال وكتابتها على كتابة الأعمال، التي هي أقل وقوعاً، وأعظم أثراً من الأقوال، وهي غaiات الأقوال ونهايتها"^(٢).

فينبغي أن يحفظ الإنسان لسانه وجوارحه عن السيئات ويرغب في الحسنات. وفي هذا إشارة كافية للبيب أن الإنسان غير متروك سدى، وأنه خلق لأجل حكمة جليلة وغاية سامية.

وبيان قربه -تعالى- عند تلقي الملكين أقوال الإنسان وأعماله "إيذان بأن استحفظ الملكين أمر هو غني عنه" ، وأن ذلك الاستحفاظ لحكمة^(٣)، وهو إقامة الحجة على العبد يوم القيمة^(٤).

﴿وَجَاءَتْ سَكَرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُتِّبَ مِنْهُ تَحِيدٌ﴾ : هذه الآية انتقالاً "إلى حكاية ما سوف يواجهه المكذبون حين احتضارهم"^(٥)، ففيها ذكر "القيمة الصغرى، وهي سكرة الموت، وأنها تجيء بالحق، وهو: لقاؤه سبحانه، والقدوم عليه، وعرض الروح عليه، والثواب والعقاب الذي تعجل لها قبل القيمة الكبرى"^(٦).

(١) معاجل التفكير، للميداني (٣ / ٨٦).

(٢) انظر: الفوائد، لابن القيم (ص ١٢-١٣).

(٣) الكشاف، للزمخشري (٤ / ٢٩٢). وانظر: حدائق الروح والريحان (٢٧ / ٤٣٩).

(٤) التفسير الوسيط، للطنطاوي (٢٦ / ٢١١). وانظر: تفسير القرطبي (١٩ / ٤٣٧).

(٥) انظر: التفسير الحديث (٢ / ٢٣٥).

(٦) الفوائد، لابن القيم (ص ١٣). وانظر: مجموع الفتاوى (٤ / ٢٦٥).

وفي التعبير بالماضي تنبئه على أن الأمر متحقق الواقع، وعلى أنه قد وقع بالفعل نظيره لمن سبق موته نزول النص من الناس^(١).

وفي هذا إيقاظ للقلوب من الغفلة، وتأكيد على أنه ينبغي للإنسان أن يستعد للموت وأحواله، وأن يقضى حياته على توجُّس وحذر.

﴿وَنَفَخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعْدِ﴾: هذه الآية واردة في "ذكر القيمة الكبرى"^(٢)، وفيها الإخبار ب النفخ في المَوْكِل بالنفخ في الصور النفخة الثانية وهي نفخة البعث، وأن ذلك يوم العذاب الذي وعد به الكفار والعصاة. "وخصص الوعيد بالذكر دون الوعد، لتهويل هذا اليوم وتحذير العصاة مما سيكون فيه"^(٣)، وليتناسب مع أسلوب السورة القوي في التَّقْرِير والتَّبْكِير.

﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾: هذه الآية واردة في "حكاية ما سوف يواجهه المكذبون حين بعثهم يوم القيمة من الحقائق التي كانوا يتهرّبون منها أو يرتابون فيها"^(٤)، وفيها الإخبار بـ"أن كل أحد يأتي الله سبحانه ذلك اليوم ومعه سائق يسوقه وشهيد يشهد عليه، وهذا غير شهادة جوارحه، وغير شهادة الأرض التي كان عليها له عليه، وغير شهادة رسوله والمؤمنين".

وفي الآية دليل على أن الحكم لا يحكم بعلمه. "إِنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ يَسْتَشْهِدُ عَلَى الْعَبْدِ الْحَفَظَةِ وَالْأَنْبِيَاءِ وَالْأَمْكَنَةِ الَّتِي عَمِلُوا عَلَيْهَا الْخَيْرُ وَالْشَّرُّ، وَالْجَلُودُ الَّتِي عَصَوْهُ بِهَا، وَلَا يَحْكُمُ بِيَنْهُمْ بِمَجْرِدِ عِلْمِهِ؛ وَهُوَ أَعْدَلُ الْعَادِلِينَ وَأَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ، وَلَهُذَا أَخْبَرَنَا أَنَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا سَمِعَهُ مِنْ إِقْرَارِهِمْ وَشَهَادَةِ

(١) معارج التفكير (٩٣ / ٣).

(٢) الفوائد، لابن القيم (ص ١٣).

(٣) التفسير الوسيط، للطنطاوي (٢٦ / ٢٣١).

(٤) التفسير الحديث (٢ / ٢٣٥).

البينة لا بمجرد علمه، فكيف يسوغ لحاكم أن يحكم بمجرد علمه من غير بيته ولا إقرار؟!"^(١).

﴿لَقَدْ كُنَتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَصَرَكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾: شرعت هذه الآية في ذكر الحساب وأحواله، وفيها زجر للمفترط في الأعمال في الدنيا، وذكر ما يقوله الله ﷺ على سبيل التهكم للإنسان عن غفلته في الدنيا عن الآخرة، وعدم الإيمان بها، "فقد أخبر سبحانه أن الإنسان في غفلة من هذا الشأن الذي هو حقيقٌ بأن لا يغفل عنه وأن لا يزال على ذكره وباله....

ثم أخبر أن غطاء الغفلة والذهول يكشف عنه ذلك اليوم كما يكشف غطاء النوم عن القلب فيستيقظ وعن العين فتنفتح، فسبة كشف هذا الغطاء عن العبد عند المعاينة كنسبة كشف غطاء النوم عنه عند الانتباه"^(٢).

وفي الآية بيان لكمال قدرة الله بـ"ما له سبحانه من الإحاطة بالتقدير والتعجيز"^(٣)، وتقرير للنبوة أيضًا في أسلوب بديع، فقد دلت الآية على قصور العقل البشري وعجزه عن إدراك ما ينفعه واجتناب ما يضره، و حاجته الدائمة إلى من يرشده إلى طريق الرشد والهداية، ومن أجل ذلك بعث الله الرسل، وأنزل الكتب، ودعا إلى الإيمان بالغيب الذي لا تدركه حواسُنا ولا تبلغ إليه عقولنا في هذه الدنيا، "فإذا مِنَّا صارَ الْغَيْبُ شَهادَةً، وَشَهَدَنَا مَا كَانَ الرُّسُلُ أَخْبَرُتُ بِهِ، وَكَانَ غَيْبًا عَنَا"^(٤)؛ كما أخبرت به هذه الآية.

(١) انظر: الفوائد، لابن القيم (ص ١٣).

(٢) الفوائد، لابن القيم (ص ١٣-١٤).

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي (١٨ / ٤٢٥).

(٤) الصدقة، لابن تيمية (٢ / ٢٨٤).



﴿وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَىٰ عَيْدِ﴾: هذه الآية واردة في ذكر بدء الحساب، ففيها الإخبار بأن الإنسان يحضره قرينه الموكّل به من الملائكة، ويحضره معه عمله الذي أحصاه، ويعرضه للحساب أمام رب العالمين، في موقف رهيب تقشعر منه الأبدان، وترتجف لها القلوب. فينبغي للإنسان أن يستعد للقاء الله قبل الموت، وأن يحاسب نفسه قبل أن يحاسب في الآخرة.

﴿أَلَقِيَاهُ فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَيْنِيهِ ۚ ۲۴ مَنَعَ لِلْحَمِيرِ مُعْتَدِلَ مُرِيبٍ ۚ ۲۵ أَلَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًاً أَخَرَ فَأَلَقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ﴾: هذه الآيات واردة في عرض لقطات من الموقف العصيب الرهيب في محاكمة المجرمين وبيان مصيرهم، والأمر العام بإلقاءهم في جهنم. وفيه تقرير الكفار وإنذارهم وإثارة الخوف فيهم وحملهم على الارتداع. "والآية في إطلاقها وعمومها تتضمّن تقييّح مَنْعِ الخير والاعتداء عامة. وإنذار المتّصف بهذه الأخلاق بسخط الله وغضبه...، وتتضمّن تقرير كُون ما يلقاه الكفار المنّاعون للخير المعذبون الخباء إنما هو جزاء على ما اقترفوه من إثم حَقًّا وعدلاً"^(١). وفيه ما يؤكّد على أنه لا يجوز معاقبة الإنسان بلا محاكمة أو بلا إثبات جرائمها.

﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتَهُ وَلَكِنَّ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾: هذه الآية في بيان اختصار الكافر وقرينه من الشياطين، فإن الكافر إذا قدم النار، أراد التنصّل من كفره وعناده بإلقاء تبعته على قرينه الذي كان يزين له الكفر، فيتبرأ قرينه من تحمل تَبِعة كفر الإنسان. و"من الحكمة المملوحة في ذلك إثارة الخوف في الكفار والضالين والمجرمين وحملهم على الارعواء بإيذائهم بأن الذين وسوسوا لهم من قرائهم وشياطينهم سينتصرون منهم وبأن الذين يرافقونهم من ملائكة

(١) التفسير الحديث (٢) / ٢٣٧.



الله قد أحصوا عليهم كل شيء وسوف يقدمونه لله تعالى لمحاسبتهم" ^(١). وهذا التبرؤ والاختصام دليل على هول الموقف.

﴿فَالَّذِي لَا يَخْصِمُونَ لَدَيْهِ وَقَدْ قَدَّمُتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ ﴾ ^(٢) هاتان الآياتان واردتا في بيان كمال علم الله وكمال عدله؛ فـ"كمال علمه وأطلاعه يمنع من تبديل القول بين يديه وترويج الباطل عليه؛ وكمال عدله وغناه يمنع من ظلمه لعيده" ^(٣).

فإن الله سبحانه لما بينَ الوعيد في الدنيا على لسان رسle؛ لم يبق لأحد لبس ولا حجة، فلا فائدة من التخاصم لإلقاء تبعة الكفر على أحد الفريقين، لأن استواء الفريقين في الكفر كافٍ في مؤاخذة الكل على السواء. وفي الآية "تقرير لمعنى الظلم في نفوس الأمة؛ إذ لا يجوز معاقبة الجاني قبل تشريع القانون، كما أن الله لم يعذب عباده إلا بعد سابق إنذار، معه أنه خالق العباد، قوله الخلق والأمر، فعال لما يريد" ^(٤).

وفيه بيان "أن من الأمور الممكنة ما هو ظلمٌ تنزّه الله سبحانه عنه مع قدرته عليه، وبذلك يحمد ويثنى عليه؛ فإن الحمد والثناء يقع بالأمور الاختيارية من فعل وترك" ^(٥).

﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَنَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾: هذه الآية واردة في "ترويع المدفوعين إلى جهنم أن لا يطمعوا في أن كثراً منهم يضيق بها سعة جهنم فيطمع بعضهم أن يكون ممن لا يوجد له مكان فيها، فحكاها الله في القرآن عبرة لمن

(١) التفسير الحديث (٢ / ٢٣٩).

(٢) الفوائد، لابن القيم (ص ١٧).

(٣) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٦ / ٣١٧).

(٤) منهاج السنة النبوية، لابن تيمية (٥ / ١٠٤).



يسمعه من المشركين وتعلماً لأهل القرآن المؤمنين".^(١)

"ويدل استعمال المضارع على أن السؤال وجوابه يتكرران ويتجددان بعد إلقاء فوج فوج في جهنم".^(٢) كما ورد في الحديث المتفق عليه: «لَا تَرَأْلُ جَهَنَّمَ يُلْقَى فِيهَا، وَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ، حَتَّى يَضَعَ رَبُّ الْعَزَّةِ فِيهَا قَدَمَهُ، فَيَنْزُو يَعْصُمَهَا إِلَى بَعْضٍ وَتَقُولُ: قَطْ قَطْ، بِعَزَّتِكَ وَكَرَمِكَ».^(٣)

"وفيه دلالة على أن الموجودات مشوقة إلى الإيفاء، وإظهار الامتثال لِمَا خلقها الله لأجله، وأنها لا تتلكأ ولا تتعلل في أدائه".^(٤)

﴿وَأَزْلَفَتِ الْجَنَّةَ لِلْمُتَقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾: هذه الآية، والتي تليها، "استطراداً إلى ذكر حظ المؤمنين يوم القيمة - على عادة القرآن في تعقب الترهيب بالترغيب وعكسه".^(٥) وفيها ذكر تقريب الجنة من المتقيين، وبيان فضل التقوى وكراهة المتقيين على رب العالمين. والذي "من شأنه جذب أصحاب القلوب الوعية والأنفوس الطيبة، وحملها على السير في السبيل القويم، وبث الطمأنينة والغبطة والرضاء فيها".^(٦) وفيه دعوة للمشركين إلى الإيمان واختيار التقوى، وترك ما هم فيه من التكذيب والغفلة.

﴿هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَابٍ حَفِظٌ﴾: هذه الآية واردة في بيان ما يقال للمتقيين عند إزلاف الجنة منهم، وذكر صفتين من صفاتهم، وهي أن يكون أواباً حفيظاً.

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٦ / ٣١٧).

(٢) معارج التفكير، للميداني (٣ / ١١٣).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأيمان والتذور، باب الحلف بعزة الله وصفاته وكلماته، (ح ٦٦٦١، ٨ / ١٣٥)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، (ح ٢٨٤٨، ٨ / ١٥٢) وهذا لفظه.

(٤) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٦ / ٣١٨).

(٥) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٣٠ / ١٣٧).

(٦) التفسير الحديث (٢ / ٢٤١).



وفي دلاله على أنه يجدر بالمؤمن المحافظة على الطاعة وحفظ وصايا الله وحدوده، فإذا صدرت منه فلتة أعقبها بالتوبة، ورجع إلى ربه. "فلا يكفي أن يعلن المرء إسلامه، بل عليه أن يكون مجتهداً في تقوى الله بالعمل الصالح واجتناب الآثام، وأن يكون حافظاً لعهوده وواجباته مراقباً الله في سره وعلمه منيئاً إليه بقلبه وجوارحه. وفي هذا ما فيه من قصد تهذيب نفس المسلم وإعداده ليكون صالحًا بارًا خيرًا ارشاداً يقتظ القلب طاهر السريرة والنفس قائماً بواجباته نحو الله والناس لذاتها متقياً ربه في السر والعلن".^(١)

﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ يُقْلِبُ مُنِيبٍ﴾: هذه الآية واردة في ذكر الصفة الثالثة والرابعة من صفات المتقين، وهو أنهم يخشونه ﷺ في السر، مع علمهم برحمته الواسعة، ويرجعون عن معصية الله ويقبلون على طاعته، ولا يطلون عملهم الصالح في أواخر أعمارهم، فيأتون يوم القيمة مُنيبين.

وفي هذا ما يؤكّد على أن "الخشية النافعة خشيته ﷺ في الغيب والشهادة"،^(٢) وأنه من أسباب حُسن الخاتمة. وفي وصفه تعالى بالرحمة، ووصف القلب بالإنبابة، استدعاء للمشركين وتلطيف بالعصاة أن لا يقنطوا من رحمة الله وأن "لا يأسوا من قبول التوبة بسبب كثرة ما سيق إليهم من الوعيد جريًا على عادة القرآن في تعقيب الترهيب بالترغيب والعكس".^(٣)

وفي اقتران اسم الرحمن بالخشية، تنبية على أن علم المتقين بسعة رحمته ﷺ لا يصدّهم عن خشيته، وأن خشيتهم " تكون مقرونةً بالأنس

(١) التفسير الحديـث (٢٤١ / ٢).

(٢) تفسير السعدي (٧ / ١٧٠٣).

(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٣ / ٢٩٥).



- يعني: الرجاء -، كما هو الم مشروع^(١) ، وفي معنى الآية حديث السبعه الذين يُظلمون الله في ظله، ومنهم: «وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًّا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ»^(٢) . وفيه رد على المشركين الذين أنكروا اسم الرحمن الله بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.

﴿أَدْخُلُوهَا إِسْلَامًا ذَلِكَ يَوْمُ الْخَلُودِ﴾^(٣) هاتان الآياتان في بيان "جزاء من قامت به هذه الأوصاف"^(٤) الأربعه المذکورة من قبل، ففيها الامتنان بالإذن لهم بدخول الجنة بالسلامة، وهو "من كمال إكرام الضيف"^(٥) ، وطمئن لهم بأنه يوم الخلود وتسويق لهم إلى ما فيها من النعيم مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ومنه رؤية الله سبحانه. وفيها دلالة على "أن المفاجأة بالإنعام ضرب من التلطف والإكرام"^(٦) . وفيه إشارة إلى أن قدرته لا نهاية لها، ولا تحصر بحد ولا تحصى بعد، ردًا على أهل العناد وبدعة الاتحاد في قولهم "ليس في الإمكان أبدع مما كان""^(٧) .

❖ المقطع الثالث [الآيات: ٤٥-٣٦]:

﴿وَكُمْ أَهْلَكْنَا بِلَهُمْ مِنْ قَرْنَيْنِ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَفَّبُوا فِي الْأَرْضِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ﴾^(٨) هذه الآية واردة في المعالجة النفسيّة لمكذبي الرّسول ﷺ والمكذبين بيوم الدين بأسلوب الترهيب، والتذكير بالعذاب الدنيوي قبل عذاب الآخرة، وفيها

(١) نظم الدرر، للبقاعي (١٨ / ٤٣١).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب من جلس في المسجد يتضرر الصلاة وفضل المساجد، (ح ٦٦٠، ١ / ١٣٣)، ومسلم في كتاب الزكاة، (ح ١٠٣١، ٣ / ٩٣). وانظر: تفسير ابن كثير (١٣ / ١٩٧).

(٣) الفوائد، لابن القيم (ص ١٨).

(٤) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٦ / ٣٢٠).

(٥) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٦ / ٣٢١).

(٦) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي (١٨ / ٤٣٤).



إنذار المشركين و "تخويفهم بأن يصيّبهم من الها لاك ما أصاب من قبلهم، وأنهم كانوا أشدّ منهم بطشاً ولم يدفع عنهم الها لاك شدة بطشهم"^(١)، و "طمأنة لقلب الرسول ﷺ و قلوب الذين آمنوا معه بأن نصر الله آتٍ لا محالة، كما نصر الله المرسلين السابقين ومن معهم من المؤمنين، مع أن المكذبين الأولين كانوا أشدّ من المعاصرین لتنزيل القرآن قوة وبأسا"^(٢). وفي هذا تأكيد على عدل الله، وجليل حكمته، وكمال قدرته، ودلالة على مشروعية تخويف العصاة والمكذبين بالعذاب الإلهي^(٣)، والاعتبار بسنة الله ﷺ في الإهلاك الجماعي للأمم.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾: هذه الآية واردة في الحث على التدبر في القرآن، و "التفكير في تدبر الأحوال التي قضت على الأمم السابقة بالإهلاك؛ ليقيسوا عليها أحوالهم"^(٤)، وفيها: التنويه بشأن المؤمنين والتعريض بتمثيل المشركين بمن ليس له قلب وبمن لا يلقي سمعه لأنهم بعده عن الانتفاع بالذكريات^(٥).

وببيان أن "من يؤتى الحكمة وينتفع بالعلم على منزلتين": إما رجلرأى الحق بنفسه فقبله واتبعه؛ فذلك صاحب القلب، أو رجل لم يقلبه بنفسه، بل هو يحتاج إلى من يعلمه ويبينه له ويعظه ويودبه؛ فهذا أصغرى فـ: (ألقى السمع وهو شهيد)، أي: حاضر القلب^(٦)؛ لـ"أنَّ مجرد الإصغاء لا يفيد، مالم يكن

(١) الفوائد، ابن القيم (ص ١٩).

(٢) معراج التفكير (٣ / ١٢٠).

(٣) أيسير التفاسير، للجزائري (٥ / ١٥٣).

(٤) التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢٦ / ٣٢٣). وانظر: التفسير الحديث (٢ / ٢٤٤).

(٥) التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢٦ / ٣٢٤).

(٦) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٩ / ٣١١). وانظر: الفوائد، ابن القيم (ص ٤-٥)، ومفتاح دار السعادة ونشر ولاية العلم والإرادة، له (١ / ٤٨٩-٤٩٠).



المصغي حاضراً بفطنته وذهنه^(١).

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا يَنْهَا مِنْ سَبَّةٍ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ :

هذه الآية واردةٌ في إبراز معنى سعة القدرة الإلهية الدال على إمكان البعث، إذ أحاله المشركون بما يرجع إلى ضيق القدرة الإلهية عن إيقاعه^(٢). ففيها "تنزيه الله سبحانه عن اللُّغُوب، والتنزيه يقتضي اتصافه سبحانه بصفات الكمال الشبوانية، لأن الأمور العدمية لا تكون كمالاً إلا إذا تضمنَت أموراً وجودية فبني اللُّغُوب يقتضي كمال قدرته تعالى ونهاية القوة بخلاف المخلوق الذي يلحقه من التعب والكلال ما يلحقه"^(٣).

وفيها "تكذيب لأعداء الله من اليهود حيث قالوا إنه استراح في اليوم السابع"^(٤).

وفي خلق السماوات والأرض في ستة أيام "تعليم للإنسان الثاني والتدريج"^(٥)، "ولو شاء لكان ذلك في أقل من لمح البصر، ولكنه سُنَّ لنا الثاني بذلك"^(٦)؛ قال سعيد بن جُبَير: "كان الله قادرًا على خلق السماوات والأرض في لمحه ولحظة، فخلقهنَّ في ستة أيام تعليمًا لخلقه التثبت والثاني في الأمور"^(٧).

(١) تفسير غرائب القرآن، للنيسابوري (٦ / ١٨٠).

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٦ / ٣٢٥).

(٣) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٦ / ٣)، و(١٠ / ٢٥٠)، الصفدية، لابن تيمية (٢ / ٦٥)، ومنهاج السنة النبوية (٢ / ١٨٣).

(٤) الفوائد، لابن القيم (ص: ١٩).

(٥) التفسير الحديث (٢ / ٢٤٨).

(٦) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي (١٨ / ٤٣٧).

(٧) معالم التنزيل، للبغوي (٣ / ٢٣٥).

قال تعالى: ﴿فَاصْرِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَيَّحْ حَمْدَ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعَ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ۚ وَمِنَ الْأَيَّلِ فَسَيِّحْهُ وَأَذْبَرَ السُّجُودِ﴾: هاتان الآياتان واردتان في معالجة حالة الرَّسُول ﷺ النفسية والقلبية أولاً، وعلى تربية حملة رسالة الرَّسُول ﷺ من العلماء والدعاة من أمته^(١).

ففيها حثُّ النبي ﷺ على الصبر وبيان ما يستعين به عليه من التسبيح والتحميد الذين تشتمل عليهما الصلاة، والأمر بـ"التأسي به سبحانه في الصبر على ما يقول أعداؤه فيه، كما أنه سبحانه صبر على قول اليهود: إنه استراح! «وَلَا أَحَدُ أَصْبِرُ عَلَىٰ أَذًى يَسْمَعُهُ مِنْهُ»^{(٢)(٣)}.

وفي الآية دلالة على أن الصبر يكتسب بالتصبر، وتأكيد على عظم الصلاة وأثرها في حل الأزمات الداخلية والخارجية، وأن الصلاة أعظم ترياق للنصر وإزالة الهم، ولهذا كان النبي ﷺ إذا حَزَبَهُ أَمْرٌ فَزَعَ إِلَى الصلاة^(٤).

﴿وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يَنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ ۖ يَوْمَ يَسْمَعُونَ أَصْيَاحَهُ بِالْعَيْنِ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُروجِ﴾: هاتان الآياتان واردتان أيضاً في تثبيت قلب النبي ﷺ، وفيها "تصوير يوم مصيبة المشركين وقربه وبيان ما فيه لهم من المثلثات وقوارع المصيبات"^(٥)، وتذكر له ﷺ بما يكون من أمر الآخرة من "نداء المنادي برجوع الأرواح إلى أجسادها للحشر"^(٦) والخروج من الأجداث؛ لأن ازدياد اليقين بالأخرة

(١) معارج التفكير، للميداني (٣ / ١٣٠).

(٢) هذا لفظ حديث، أخرجه البخاري (٩٩)، ومسلم (٤٨٠) عن أبي موسى الأشعري.

(٣) الفوائد، لابن القيم (ص ١٩)، وانظر: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، له (٢ / ٣٤٠).

(٤) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات وال سور، للبقاعي (١٨ / ٤٤٠).

(٥) نظم الدرر في تناسب الآيات وال سور، للبقاعي (٤٤٠ / ١٨).

(٦) الفوائد، لابن القيم (ص ٢٠).

وتتجدد من أعظم ما يعين على الصبر، فالبيتين يشرح الصدر ويستمدُّ قوَّةً معنوَّيةً كبيرةً تتضاءل معها خطوب الدنيا وهمومها. وفي هذا تلقين روحاني للدعاة للاعتناء بذكر الآخرة ليكون عوناً للداعية في رحلته.

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي، وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ﴾: هذه الآية واردةٌ في تقرير عقيدة البعث بعد الموت، وفيها التذكير بأن المحيي والمميت هو الله لا شريك له، والاستدلال بذلك على البعث الذي هو الإحياء الأعظم، لأن "المعاد ليس بأصعب من المبدأ، فمن أقرَّ به وأنكر البعث كان معانداً أو مجنوناً قطعاً".^(١) "فمن أحيا أو لآثم أمات، فلا عجب أن يعيد من أماته إلى حياة أخرى ليلاقي حسابه وجزاءه على ما قدَّم في الحياة الأولى، التي كانت رحلة امتحانه، وأن المصير بعد رحلة الابلاء في الحياة الدنيا إلى رب العالمين".^(٢)

﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَسْرٌ عَيْنَا يَسِيرٌ﴾: هذه الآية واردةٌ في الاستدلال بإمكان الحشر بعد تحقيق أمر البعث في الآية السابقة، وفيها ذكر صورة خروج الناس من قبورهم وهو تشقق الأرض عنهم كما يتشقق النبات، في زمن غير طويل، ثم اجتماعهم في المحشر، مهما بعده قبورهم عن أرض المحشر، كما ورد في حديث: «ثُمَّ يُنْزَلُ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيَنْبُتوْنَ كَمَا يَبْتُ الْبَقْلُ»^(٣). وفي هذا تأكيدٌ على كمال قدرة الله وشمول علمه لكل الأشياء، ومنها الأجزاء المترفة المختلطة بالتراب المدفونة في الأرض. وهو ردُّ لقول المشركين: «ذَلِكَ رَجْمٌ بَعِيدٌ».

(١) انظر: نظم الدرر، للبقاعي (٤٤١-٤٤٢ / ١٨).

(٢) معارج التفكير، للميداني (٣ / ١٣٥).

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب **﴿يَوْمَ يُفْخَّفُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفَوْجًا﴾**، (٤٩٣٥)،

٦ / ١٦٥). وانظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٦ / ٢٨٣).



﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِحَاجَةٍ فَذَكِّرْ إِلَّا قُرْءَانَ مَنْ يَخَافُ وَعِيدٌ﴾ : هذه الآية خاتمة السُّورَة، وهي تأكيدٌ لما تضمنته السُّورَة من تقرير البعث والرسالة، مع الإعراض عن مواجهة المكذبين بالخطاب، وتوجيه الخطاب إلى الرَّسُول ﷺ، وقد اشتغلت على ثلات جمل موجزة:

قوله تعالى: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ : فيه تسليةٌ وطمأنةٌ من الله ﷺ للرسول ﷺ بشأن مقالات قومه المكذبين، وكناية عن وعد الله لرسوله بأنه ﷺ سينتصر له منهم، وتهديد ووعيد من الله للذين يؤذون الرَّسُول بآقوالهم بأنه سينتقم منهم وينصر رسوله، فقد "أُخْبِرَ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ عَالِمٌ بِمَا يَقُولُ أَعْدَاؤُهُ، وَذَلِكَ يَتَضَمَّنُ مَجَازَاتَهُ لَهُمْ بِقَوْلِهِمْ؛ إِذَا لَمْ يَخْفَ عَلَيْهِ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ يَذْكُرُ عِلْمَهُ وَقُدْرَتَهُ لِتَحْقِيقِ الْجَزَاءِ" ^(١).

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِحَاجَةٍ﴾ ، فيه بيانٌ لحقيقة الرسالة وحقيقة الدعوة، وطمأنةٌ للرسول ﷺ بأنه غير مسؤول عن عدم اهتدائهم؛ لأنَّه إنما بعث داعيًّا وهادِيًّا، وليس مبعوثًا لإرغامهم على الإيمان. وفيه تأكيدٌ على أن الداعي غير مكلَّفٍ بهداية قومه، بل يكفي دعوتهم، وبيان الحق لهم، إتمامًا للحجَّة، وإبراءً للذمة.

﴿فَذَكِّرْ إِلَّا قُرْءَانَ مَنْ يَخَافُ وَعِيدٌ﴾ : هذه خاتمة الختام، وفيه تأكيدٌ على أن التذكير والذكرى مداره على هذا القرآن، وفيه تعليمٌ للعلماء والدعاة أن يكون محور دعوتهم مركزاً على هذا القرآن العظيم، وربط الناس به على كل الأحوال، وفي كل مجال ^(٢). ولهذا ختمت به السُّورَة كما بدأها به: ﴿قُرْءَانَ الْمَجِيد﴾.

(١) الفوائد، لأبي القاسم (ص ١٤).

(٢) انظر: كوكبة الخطاب المنيفة، للسديس (١ / ٥٧-٥٨).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



الخاتمة

الحمدُ لله أولاً وآخراً،

وبعد،

﴿ فقد توصل البحث إلى بعض النتائج، منها:

١ - أن المَقاصِدُ الْقُرآنِيَّةُ هِيَ: مُراد الله ﷺ من كلامه، أو هي الغايات التي أُنْزِلَ القرآن لأجلها تحقيقاً لمصالح العباد. وهو من حيث الاستقلال مصطلح حديث نسبياً. وتكون أهميته في أنه مفتاح تدبُّر كلام الله ﷺ، كما قال الشاطبي: "فالتدبُّر إنما يكون لمن التفتَ إلى المَقاصِدِ". كما أن معرفة المَقاصِدُ الْقُرآنِيَّة يضبط منهجة تفسير كلام الله ﷺ، ويحفظ القرآن الكريم من التحريف والتأويل.

٢ - أن سُورَةً (ق) مكَّيَّة، وهي أول الحزب المفصل، وقد كان النبي ﷺ
كان يقرأ بها في المجامع العظام. ويدور محور السُّورة حول معالجة تكذيب المكذبين برسالة محمد ﷺ، وبما جاء به من نبأ البعث والحساب.

٣ - تناولت سُورَةً (ق) عدة موضوعات جزئية تخصُّ العقيدة الإسلامية، وكلها تتعلق بمعالجة موضوع البعث، والرسالة، ومن المَقاصِدُ الْقُرآنِيَّةُ التي تضمُّنتها هذه السُّورة:

﴿ تقرير أصول الدين من الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله،
واليوم الآخر، والقدر.

﴿ إثبات صفات الكمال لله وتنزيهه عما يضادُ كماله من الناقص
والعيوب.

﴿ تقرير شامل علم الله، ومنه: تقرير عقيدة مراقبة الله للإنسان، وإحاطته به من كل وجه، وإقامة الحفظة عليه. ﴾

﴿ تقرير كمال قدرة الله، ومنه: بيان مظاهر قدرة الله في خلق السماوات والأرض، وفي إلحاك المكذبين، وفي خلق الإنسان. ﴾

﴿ تقرير حكمة الله في خلق كل شيء، وخلق الإنسان. ﴾

﴿ بيان عنابة الدين الإسلامي بكافة جوانب حياة الإنسان، وبياناته تصوراً كاملاً عن حياته التي تبدأ من ولادته، وتتمرّ بالموت، ثم تنتهي بالبعث والحساب، ثم المصير إلى الجنة أو النار. ﴾

﴿ تسلية النبي ﷺ والمؤمنين، وتحذير أعداء الرَّسُول ﷺ من سوء عاقبة الكفر. ﴾

﴿ الكشف عن أحوال أهل الباطل في الاستدلال بالعقل الفاسد، وأسباب تكذيبهم بالحق. ﴾

﴿ تقرير مكانة العقل في الإسلام، وعدم معارضته للنقل الصحيح، والدعوة إلى إعماله للوصول إلى الحق، من خلال التفكير في آيات الله الكونية، والاعتبار بمصارع المكذبين السابقين. ﴾

٤ - بلاغة القرآن الكريم وإعجازه، ومن مظاهره: طريقة عرض السورة للقضايا المحورية الكلية والجزئية، والتي تظهر متافرة مختلفة - في بادئ الأمر -، لكنها عند التدبر نجدها تتصل اتصالاً وثيقاً بمقصد السورة.

فينبغي للعلماء والدعاة أن يعتنوا بهذه السورة، سورة (ق)، تلاوة وتدبراً، وأن يحيوا سنتَة رسول الله ﷺ في قراءتها في خطبة الجمعة، وفي صلاة العيد،



وصلاة الفجر، وأن لا يكتفوا بقراءة آياتٍ منها^(١)؛ لأن موافقة السنة لا تحصل بالاجتزاء، وذلك أن قراءة الرَّسول ﷺ للسورة إنما كانت لما اشتملت عليه السُّورة من أهم مقاصد القرآن.

وحرى بالباحثين أن يتوجها إلى دراسة المقاصد القرآنية في جميع السُّور، خاصةً تلك السُّور التي كان رسول الله ﷺ يواكب على قراءتها في المناسبات المختلفة، مثل سُورة القمر، وسوري الأعلى والغاشية، وسوري الجمعة والمنافقون، وسوري السجدة والإنسان؛ فإنه يُعين على فهم كتاب الله فهماً صحيحاً، ويعود بالخير على المجتمع الإسلامي وعلى الفرد المسلم.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين



(١) انظر: زاد المعد، لابن القيم (٢٠٣ / ١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المصادر والمراجع



١. «القرآن الكريم»، رواية حفص عن عاصم.
٢. «أسرار ترتيب القرآن». السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١ هـ). تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، ومرزوق علي إبراهيم، د.ط، القاهرة: دار الفضيلة، ٢٠٠٢ م.
٣. «أسماء سور القرآن وفضائلها». الدوسي، د. منيرة محمد ناصر. ط ١، السعودية: دار ابن الجوزي، ١٤٢٦ هـ.
٤. «أصول في التفسير». العشيمين، محمد بن صالح (ت ١٤٢١ هـ). ط ١، عين شمس: المكتبة الإسلامية، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.
٥. «أصوات البيان في إيضاح القرآن بالقرآن». الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار الجكنى (ت ١٣٩٣ هـ). إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد. ط ١، مكة: دار عالم الفوائد، ١٤٢٦ هـ.
٦. «الإتقان في علوم القرآن». السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١ هـ). تحقيق: مركز الدراسات القرآنية، د.ط، المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٢٦ هـ.
٧. «البرهان في علوم القرآن». الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله (ت ٧٩٤ هـ). تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. د.ط، القاهرة: دار التراث، د. ت.
٨. «البيان في عد آي القرآن». الداني، أبو عمرو الأندلسبي (ت ٤٤٤ هـ). تحقيق: د. غانم قدوري الحمد. ط ١، الكويت: مركز المخطوطات والتراث والوثائق، ١٤١٤ هـ.

٩. «التحرير والتنوير» تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد». ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي (ت ١٣٩٣ هـ). د.ط، تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤ هـ.

١٠. «التفسير الحديث (مرتب حسب ترتيب النزول)». عزت، دروزة محمد (ت ١٤٠٤ هـ). د.ط، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٣٨٣ هـ.

١١. «التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم». إعداد: نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن. إشراف: أ.د. مصطفى مسلم. ط ١، الإمارات: جامعة الشارقة، ٢٠١٤ هـ.

١٢. «التفسير الوسيط للقرآن الكريم». الطنطاوي، د. محمد السيد. د.ط، القاهرة: مطبعة السعادة، ١٤٠٦ هـ-١٩٨٦ م.

١٣. «الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنته من السنة وأي الفرقان». القرطبي، أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت ٦٧١ هـ). تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي. ط ١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٧ هـ-٢٠٠٦ م.

١٤. «الدراسة التحليلية لمَقاصلِ وأهدافِ الحزبِ الثانيِ والخمسينِ منِ القرآنِ الكريم (سورة الفتح-الحجرات-(ق)-الذاريات)». رشيد، نصر سمير، رسالة ماجستير، غزة: كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية، ١٤٣٩ هـ-٢٠١٨ م.

١٥. «الصفديّة». ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم (ت ٧٢٨ هـ). تحقيق: د. محمد رشاد سالم. ط ١، الرياض: دار الفضيلة، قبل عام ١٩٧٦ م.

١٦. «الفوائد». ابن قيم الجوزيّة، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت ٧٥١ هـ). تحقيق: محمد عزيز شمس. ط ١، مكة: دار عالم الفوائد، ١٤٢٩ هـ.



١٧. «الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقوایل في وجوه التأویل». الزمخشري، جار الله محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ). ضبط: الداني بن منير آل زهوي. ط ١، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٢٧هـ - م ٢٠٠٦م.
١٨. «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز». ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسى (ت ٥٤٦هـ). تحقيق: عبد السلام عبد الشافى محمد. ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ - م ٢٠٠١م.
١٩. «المحكم والمحيط الأعظم». ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي (ت ٤٥٨هـ). تحقيق: د. عبد الحميد هنداوى. ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ - م ٢٠٠٠م.
٢٠. «المستدرک على الصحيحين»، أبو عبد الله الحكم النسابوري (ت ٤٠٥هـ)، تحقيق: مركز البحوث وتقنيّة المعلومات، ط ١، السعوديّة: دار التأصيل، ١٤٣٥هـ - م ٢٠١٤م.
٢١. «المستدرک على مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» (ت ٧٢٨هـ). جمعه: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، ط ١، د.م: د.ن، ١٤١٨هـ.
٢٢. «المقاصد القرآنية في سورة المزمل: دراسة تحليلية». العمر، أكرم غازي الحسين. رسالة ماجستير، ماليزيا: كلية العلوم الإسلامية، جامعة المدينة العالمية، ١٤٣٩هـ - م ٢٠١٨م.
٢٣. «المقاصد القرآنية في سورة ص». غانية، شيماء. رسالة ماجستير، الوادى: معهد العلوم الإسلامية، جامعة الشهيد حمه لحضر، ١٤٣٨هـ - ١٤٣٩هـ / ٢٠١٨م - ٢٠١٩م.
٢٤. «المقاصد القرآنية: دراسة منهجية». الربيعة، د. محمد بن عبد الله. مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، جدة، العدد ٢٧، جمادى الآخرة ١٤٠٠هـ - فبراير ٢٠١٩م، ٢٠٧- ٢٦٢م.



٢٥. «الموافقات». الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي (ت ٧٩٠ هـ). تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان. ط ١، د.م: دار ابن عفان، ١٤١٧ هـ- ١٩٩٧ م.
٢٦. «الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم». ابن حزم، الأندلسي (ت ٤٥٦ هـ). المحقق: د. عبد الغفار سليمان البنداري. ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٦ هـ- ١٩٨٦ م.
٢٧. «النبوات». ابن تيمية، تقى الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم (ت ٧٢٨ هـ). تحقيق: د. عبد العزيز بن صالح الطويان. ط ١، الرياض: أصوات السلف، ١٤٢٠ هـ- ٢٠٠٠ م.
٢٨. «أيسير التفاسير لكلام العلي الكبير».الجزائري، أبو بكر جابر (ت ١٤٣٩ هـ)، ط ٣، المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ١٤١٨ هـ- ١٩٩٧ م.
٢٩. «بدائع الفوائد». ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت ٧٥١ هـ). تحقيق: علي بن محمد العمران. ط ١، مكة: دار عالم الفوائد، ١٤٢٩ هـ.
٣٠. «بصائر ذوي التميز في لطائف الكتاب العزيز». الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧ هـ). المحقق: محمد علي النجار. د.ط، القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٤١٦ هـ- ١٩٩٦ م.
٣١. «تاج العروس من جواهر القاموس». الزبيدي، السيد محمد مرتضى الحسيني (ت ١٢٠٥ هـ). تحقيق: عبد الستار أحمد فراج. د.ط، الكويت: مطبعة حكومة الكويت، ١٣٨٥ هـ- ١٩٦٥ م.
٣٢. «تفسير البحر المحيط». أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي (ت ٧٤٥ هـ). تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، وآخرين. ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٣ هـ- ١٩٩٣ م.



.٣٣. «تفسير القرآن العظيم». ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل الدمشقي (ت ٧٧٤هـ).

تحقيق: مصطفى السيد، وآخرين. ط١، مصر: مؤسسة قرطبة، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

.٣٤. «تفسير القرآن الكريم (من الحجرات إلى الحديد)». العثيمين، محمد بن صالح

(ت ١٤٢١هـ). ط١، الرياض: دار الثريا، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

.٣٥. «تفسير المراغي». المراغي، أحمد بن مصطفى (ت ١٣٧١هـ). ط١، مصر: شركة

مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٦٥هـ-١٩٤٦م.

.٣٦. «تفسير حداائق الروح والريحان في روايي علوم القرآن». الهرري، محمد الأمين بن

عبد الله الأرمي العلوي الشافعي. إشراف ومراجعة: د. هاشم محمد علي بن حسين

مهدي. ط١، بيروت: دار طوق النجاة، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

.٣٧. «تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان». النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد

بن حسين القمي (ت ٨٥٠هـ). تحقيق: زكريا العميرات. ط١، بيروت: دار الكتب

العلمية، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

.٣٨. «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان». السعدي، عبد الرحمن بن ناصر (ت

١٣٧٦هـ). اعتماء: سعد بن فواز الصميل. ط١، السعودية: دار ابن الجوزي، ١٤٢٢هـ.

.٣٩. «جمال القراء وكمال الإقراء». السخاوي، علي بن محمد (ت ٦٤٣هـ). تحقيق:

د. علي حسين البواب. ط١، مكة المكرمة: مكتبة التراث، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م.

.٤٠. «درء تعارض العقل والنقل». ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم

(ت ٧٢٨هـ). تحقيق: د. محمد رشاد سالم. ط٢، الرياض: جامعة الإمام محمد بن

سعود الإسلامية، ١٤١١هـ-١٩٩١م.



٤١. «روح البيان». الخلوق، إسماعيل حقي البروسوي (ت ١٣٧ هـ)، د. ط، إستانبول: المطبعة العثمانية، ١٩٢٦ م.

٤٢. «روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني». الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله البغدادي (ت ١٢٧٠ هـ). تحقيق: جماعة من المحققين. ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م.

٤٣. «زاد المسير في علم التفسير». ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد بن محمد القرشي البغدادي (ت ٥٩٧ هـ). ط٣، دمشق: المكتب الإسلامي، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.

٤٤. «زاد المعاد في هدي خير العباد». ابن قيم الجوزيَّة، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت ٧٥١ هـ). تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وعبد القادر الأرناؤوط. ط٣، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م.

٤٥. «سورة (ق): دراسة تحليلية موضوعية». سعداوي، عبد الله. رسالة ماجستير، الجزائر: كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، ١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ هـ / ١٤٣٦ م.

٤٦. «صحيح البخاري - الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه». البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي (ت ٢٥٦ هـ). تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر. ط١، بيروت: دار طرق النجاة، ١٤٢٢ هـ.

٤٧. «صحيح مسلم - المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل إلى رسول الله ﷺ»، مسلم، أبو الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري

- (ت ٢٦١ هـ). تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر. ط١، بيروت: دار طوق النجاة، ١٤٣٣ هـ-١٣٢٠ م.
- ٤٨.** «فتح القدير (الجامع بين فني الرواية والدرایة من علم التفسير)». الشوكاني، محمد بن علي (ت ١٢٥٠). تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة. ط٢، المنصورة: دار الوفاء، ١٤١٨ هـ-١٩٩٧ م.
- ٤٩.** «كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة». السديس، عبد الرحمن بن عبد العزيز. ط١، مكة المكرمة: مكتبة إمام الدعوة العلمية، ١٤٢٣ هـ-٢٠٠٢ م.
- ٥٠.** «لسان العرب». ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري (ت ٧١١ هـ). ط٣، بيروت: دار صادر، ١٤١٤ هـ.
- ٥١.** «معجم البيان في تفسير القرآن». الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن بن الفضل (ت ٥٤٨ هـ). ط١، بيروت: دار المرتضى، ١٤٢٧ هـ-٢٠٠٦ م.
- ٥٢.** «مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ)». جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وابنه محمد. د.ط، المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٢٥ هـ-٤٠٠٢ م.
- ٥٣.** «مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع». السيوطي، جلال الدين (ت ٩١١ هـ). قرأه وتممه: د. عبد المحسن بن عبد العزيز العسكر. ط١، الرياض: مكتبة دار المنهاج، ١٤٢٦ هـ.
- ٥٤.** «مركزية المقاصد عند محمد الغزالى: مقاربة في المفهوم والمصطلح والضرورة». زرمان، أ.د. محمد. مركز تفسير للدراسات القرآنية، نشرة إلكترونية.



- ٥٥.** «مَصَاعِدُ النَّظَرِ لِلإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السُّورِ»، ويسمى: "المقصد الأسمى في مطابقة اسم كل سورة للمسمي". البقاعي، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر الشافعي (ت ٨٨٥ هـ). تحقيق: د. عبد السميع محمد أحمد حسين. ط١، الرياض: مكتبة المعارف، ١٤٠٨ هـ-١٩٨٧ م.
- ٥٦.** «مظاهر الإعجاز البیانی فی القرآن الکریم». قوی: أ.د. أحمد. د.ط، د.م: مركز الكتاب الأكاديمي، ٢٠١٨ م.
- ٥٧.** «معارج التفكير و دقائق التدبیر». المیدانی، عبد الرحمن حسن حبنكة (ت ١٤٢٥ هـ). ط١، دمشق: دار القلم، ١٤٢٠ هـ-٢٠٠٠ م.
- ٥٨.** «معالم التنزيل في تفسير القرآن - تفسير البغوي». البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود (ت ١٦٥ هـ). تحقيق: محمد عبد الله النمر، وعثمان جمعة ضميرية، وسلیمان مسلم الحرثش. ط٤، الرياض: دار طيبة، ١٤٠٩ هـ-١٩٨٩ م.
- ٥٩.** «معجم مقاييس اللغة». ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن ذكرياء (ت ٣٩٥ هـ). تحقيق: عبد السلام محمد هارون. د.ط، دار الفكر، ١٣٩٩ هـ-١٩٧٩ م.
- ٦٠.** «مفاتيح الغيب - التفسير الكبير». فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦ هـ). ط١، بيروت: دار الفكر، ١٤٠١ هـ-١٩٨١ م.
- ٦١.** «مفتاح دار السعادة و منشور ولاية العلم والإرادة». ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت ٧٥١ هـ). تحقيق: عبد الرحمن بن حسن بن قائد. ط١، مكة: دار عالم الفوائد، ١٤٣٢ هـ.
- ٦٢.** «مقاربات "مقاصد القرآن الكريم": دراسة تاريخية». حللي، عبد الرحمن. مجلة التجديد، الجامعة الإسلامية العالمية-ماليزيا، م (٢٠)، (٣٩)، (١)، (٤٣٨ هـ-١٤٣٨ هـ). ٢٣٤-١٩٣ م، ٢٠١٦.



٦٣. «مقاصد القرآن من تشريع الأحكام». حامدي، د. عبد الكريـم. ط١ ، دار ابن حزم ، مـ٢٠١٠.
 ٦٤. «مناهـل العـرفـان في عـلـوم القرـآن». الزـرقـاني، محمد عبد العـظـيم (تـ١٣٦٧ هـ). تحقيق: فواز أـحمد زـمرـلي. دـ.طـ، دـار الـكتـاب الـعـربـي، دـ.تـ.
 ٦٥. «منـهـاج السـنة النـبـوـيـة في نـقـض كـلـام الشـيـعـة الـقـدـرـيـة». ابن تـيمـية، تقـي الدـين أبو العـباس أـحمد بن عبد الحـلـيم (تـ٧٢٨ هـ). تحقيق: دـ. محمد رـشـاد سـالـم. طـ٢ ، الـرـيـاضـ: جـامـعـة الإـلـاـمـاـمـ مـحـمـدـ بـنـ سـعـودـ إـلـاسـلامـيـةـ، ١٤٠٦ هـ- ١٩٨٦ مـ.
 ٦٦. «نظـرـيـة المقـاصـدـ عـنـدـ الشـاطـبـيـ». الـرـيسـونـيـ، أـحمدـ. دـ.طـ، فـيـرـجـيـنـياـ: الـمـعـهـدـ الـعـالـمـيـ لـلـفـكـرـ إـلـاسـلامـيـ، دـارـ الـأـمـانـ، ١٤٢١ هـ.
 ٦٧. «نظم الدرر في تناسب الآيات وال سور». الـبـقـاعـيـ، أـبـوـ الـحـسـنـ بـرـهـانـ الدـينـ إـبـرـاهـيمـ بـنـ عـمـرـ الشـافـعـيـ (تـ٨٨٥ هـ). دـ.طـ، الـقـاهـرـةـ: دـارـ الـكـتـابـ إـلـاسـلامـيـ، ١٤١٣ هـ.
-

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فهرس الموضوعات

| | |
|----|--|
| ٢٥ | مستخلص البحث |
| ٢٩ | المقدمة |
| ٣٤ | المبحث الأول: علم المَقاصِد الْقُرآنِيَّة |
| ٣٤ | المطلب الأول: تعريف المَقاصِد الْقُرآنِيَّة |
| ٣٦ | المطلب الثاني: أهمية المَقاصِد الْقُرآنِيَّة |
| ٣٨ | المبحث الثاني: التعريف بسورة «ق» |
| ٣٨ | المطلب الأول: اسم السُّورة وعدد آياتها ومرحلة نزولها |
| ٣٩ | المطلب الثاني: فضل سُورة «ق» |
| ٤١ | المطلب الثالث: ترتيب المصحف وترتيب النزول |
| ٤١ | المطلب الرابع: المناسبات في سُورة «ق» |
| ٤٤ | المبحث الثالث: التدبُّر المَقاصِدي لسورة «ق» |
| ٤٤ | المطلب الأول: مقصد السُّورة |
| ٤٦ | المطلب الثاني: موضوعات السُّورة |
| ٤٨ | المطلب الثالث: مقاطع السُّورة |
| ٤٨ | المطلب الرابع: التدبُّر المَقاصِدي لآيات |
| ٧١ | الخاتمة |
| ٧٥ | المصادر والمراجع |
| ٨٥ | فهرس الموضوعات |

TADABBUR MAGAZINE

Refereed Scientific Biannual Journal specialized in the Arbitration and Publication of
the Researches and Studies related to the Areas of Meditating on the Holy Qur'an

The eighth issue, Rajab 1441 AH, corresponding to March 2020, the fourth year

﴿كُتِبَ الْأَنْزَلُ إِلَيْكُمْ مُّبَرَّكٌ لِّيَدْبَرُوا أَيَّتِيهِ وَلِيَسْتَذَكِّرُ أُولُو الْأَلْبَابُ﴾ [ص: ٢٩]

TADABBUR MAGAZINE Index:

- ➊ The Qur'anic Purposes of Sura Qaf
Hammad Mohammed Yusuf
- ➋ The Eloquence of the Koranic Style of Dialogue: the Prophets' Dialogue with their Children as a Model
Dr. Badria Saeed Mo'eedh Al-Wadl'ee
- ➌ Compulsory Question in the Koranic Dialogue: a Thorough Applied study
Dr. Hamid bin Radi bin Muslih Ar-Rouqi
- ➍ Basing the Chapter of Al-Haqqa on the Glorification of Allah (Exalted be He) and the Requisites of Devotion
Dr. Tawfiq Ali Zabadi
- ➎ A Report on a scientific thesis entitled "Meditating on the Noble Koran"
Dr. Abdullatif bin Abdullah Al-Tuwajri
- ➏ A Report on the Mushaf of the Spiritual Directives of the Noble Quran
- ➐ A Report on The Second International Quranic Conference on the Spiritual Directives of the Noble Quran



هذا الكتاب منشور في

